دور المجاهد القائد محمود الشريف في تكوين وتنظيم كتيبة الكومندوس، ونشاطها العسكري بناحية تبسة خلال سنة 1956.

The role of the Mujahid Leader Mahmoud Chérif in the formation and organization of the Commando Compagnie, and its military activity in the Tebessa district during the year 1956.

1– طارق عزيز فرحاني*، المركز الجامعي سي الحواس–بريكة (الجزائر)، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة المسيلة (الجزائر)

farhani.tarekaziz@cu-barika.dz

2– د. فاروق جياب، المركز الجامعي سي الحواس–بريكة (الجزائر)

farouk.djiab@cu-barika.dz

تاريخ الاستلام: 2023/11/30 تاريخ القبول: 2024/04/07 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص: هذه الدراسة تهدف إلى التعريف بكتيبة الكومندوس التي تأسست على يد أحد قادة جيش التحرير الوطني بناحية تبسة، وهو المجاهد القائد محمود الشريف مباشرة بعد انضمامه إلى صفوف جيش التحرير الوطني في سنة 1956م، وذلك بالاستناد إلى الشهادات الحية لبعض المجاهدين الأحياء الذين كانوا ينشطون ضمن صفوف هذه الكتيبة، بالإضافة إلى المعلومات التي استقيناها من ملف العقيد محمود الشريف المحفوظ في الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار، خاصة تقارير ونشرات مصالح المخابرات الاستعمارية الفرنسية ومصالح شرطة الاستعلامات العامة المتعلقة بنشاطات كتيبة الكومندوس.

كلمات مفتاحية: محمود الشريف، تبسة، جيش التحرير الوطني، كتيبة الكومندوس.

*- المؤلف المرسل

Abstract: This study aims to introduce the Commando compagnie, which was founded by one of the leaders of the National Liberation Army in the Tebessa district, and he is the Mujahid Commander Mahmoud Chérif immediately after joining the ranks of the National Liberation Army in the year 1956, based on the live testimonies of some living Mujahideen who were active within the ranks of this group. The battalion, in addition to the information we obtained from the file of Colonel Mahmoud Chérif kept in the French Archives Overseas, especially reports and bulletins of the French colonial intelligence services and the general information police services related to the activities of the Commandos compagnie.
Keywords: Mahmoud Chérif, Tébessa, National libération Army, Commando compagnie.

مقدمة:

تعد ناحية تبسة إحدى النواحي التي تشكلت منها المنطقة الأولى أوراس النمامشة خلال الثورة التحريرية الجزائرية، هذه الناحية التي كانت ميدانا خصبا خاض فيه مجاهدو جيش التحرير الوطني العديد من المواجهات القوية ضد وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي، إضافة إلى أنها أنجبت للثورة الجزائرية الكثير من القيادات الميدانية التي برزت وعملت جاهدة على وضع أسس لاستراتيجية وعقيدة عسكرية كان لها الأثر الإيجابي في الرفع من مستوى الأنشطة القتالية التي كان ينفذها المجاهدون في ربوع الناحية، ويعد القائد محمود الشريف أحد أبرز هؤلاء القادة، حيث عكف ومنذ التحاقه بصفوف جيش التحرير الوطني على تكوين كتيبة كومندوس أسندت لها مهام قتالية صعبة ومتعددة. ولدراسة إشكالية هذا الموضوع والإحاطة بجوانبه المختلفة، طرحنا مجموعة من التساؤلات:

- كيف تكونت كتيبة الكومندوس؟ ومن أين استمدت تسميتها؟
- فيما تمثلت خصائصها العامة؟
- كيف نظم وهيكل المجاهد القائد محمود الشريف كتيبة الكومندوس؟ وكيف تم تسليح أفرادها؟ وماهي أبرز المهام المسندة لهم؟
- ماهي الدعائم التي ارتكزت عليها كتيبة الكومندوس لتنفيذ عملياتها الثورية المختلفة؟
- ماهي أبرز الأنشطة العسكرية التي نفذها أفراد كتيبة الكومندوس بناحية تبسة؟

نظرا لطبيعة الموضوع وتشعبه اعتمدنا على مصادر ومراجع متنوعة من أجل تغطية كافة عناصر الدراسة، أين استعنا بشهادات حية لمجاهدين كانوا أعضاء في صفوف الكتيبة وشاركوا في عملياتها القتالية، وبعض الكتابات التاريخية التي تناولت تاريخ الكتيبة، وما دونته المصالح المخابراتية

الفرنسية حول الكتيبة في تقاريرها ونشراتها، إضافة إلى بعض المصادر والمراجع المختلفة. وفيما يخص المناهج التي اعتمدنا عليها لدراسة الموضوع فقد اعتمدنا على منهج تاريخي حاول قدر الإمكان الجمع بين السرد والتحليل والمقارنة، وهي في رأينا تتناسب مع التسلسل المنطقي لبنية الأحداث التاريخية التي تضمنتها الدراسة، والتي تبدأ حدودها الزمنية بين قيام المجاهد القائد محمود الشريف بمباشرة عملية تكوين كتيبة الكومندوس في شهر ماي 1956م إلى غاية استشهاد القائد الوردي زروف خلال أواخر شهر سبتمبر 1956م.

1. تكوين أول فرقة للكومندوس بناحية تبسة:

مهدت ظروف وتطورات مختلفة لظهور كتيبة الكومندوس بناحية تبسة، والتي عرفت تصاعدا في وتيرة العمل الثوري الذي اتسم بقوة التنظيم والتعبئة، واشتراك أغلب الأعراش في تقوية ساعد الثورة والدفع بأبنائها للجهاد، وفي الجانب العسكري خاض المجاهدون في الناحية الكثير من الاشتباكات والمعارك الطاحنة[1]، والتي حقق فيها جيش التحرير الوطني نتائج جد إيجابية وألحق خسائر فادحة في صفوف وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي والتي فقدت خلالها عددا من كبار قادتها وضابطها[2].

1.1 المجاهد محمود الشريف يبادر إلى تكوين أول فرقة للكومندوس بناحية تبسة:

في ظل التطورات الثورية المختلفة التي كانت تشهدها ناحية تبسة، التحق محمود الشريف بصفوف جيش التحرير الوطني يوم 10 أفريل 1956م[3]، أين بادر خلال الأيام الأولى التي رافقت وصوله إلى مقر قيادة جيش التحرير الوطني بشفاقة لهودي الواقعة بجبل آرقو[4]، إلى طرح مبادرة على القيادة الثورية لناحية تبسة، تهدف إلى تكوين أول فرقة للكومندوس بناحية تبسة، وجاءت هذه المبادرة حينما طرح عليه المجاهد القائد ورتان بشير سؤالا عن ماضيه وعن سيرته العسكرية، وعن المهمة أو المسؤولية التي يود

---

[1]- عبد الله مقلاتي، محمود الشريف، قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013م، ص 19.

[2]- قدم الضابط الفرنسي دومنيك فارال سردا تاريخيا لأهم التطورات العسكرية التي شهدتها ناحية تبسة خلال بداية الثورة التحريرية. للمزيد انظر: دومنيك فارال، معركة جبال النمامشة 1954-1962م، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2008م.

[3]- FR, A.N.O.M, C.9336/63 Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01.

[4]- وصفها العقيد الفرنسي تونلوت قائلا: "هذا الكهف هو عبارة عن مغارة تمتد تحت الأرض على طول 100 متر حيث يمكنه من إيواء كتيبة كاملة من مائة رجل"، للمزيد انظر:

-Bernard Top, La Compagne De 6e régiment de Cuirassiers en Algérie 1955-1963, éd Tbélés, Paris, p 64.

تولها في صفوف جيش التحرير الوطني، فأجابه بأنه يريد من القيادة الثورية لناحية تبسة أن تمنح له الإذن حتى يشرع في تكوّين فرقة خاصة من المجاهدين، لينطلق مع أفرادها في تنفيذ مهام قتالية خاصة تستهدف المعاقل التي تتمركز بها وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي ومجموعات الحركى والقومية الداعمة لها، فوافقت القيادة مباشرة على الطلب الذي تقدم به وعلى المبادرة التي طرحها[5]. وفقا لتأكيد المجاهد يوسف جدواني الذي يذكر بأن المجاهد محمود الشريف هو صاحب اقتراح تكوّين فرقة للكومندوس بناحية تبسة، تتولى مهمة تنفيذ عمليات قتالية صعبة وخطيرة ضد الجيش الفرنسي، فطلب من القيادة الثورية للناحية أن تمنح له الإذن ليشرع في تكوينها حتى يبرهن من خلالها عن كفاءته وقدراته في القيادة، فوافقوا مباشرة على طلبه لأنهم كانوا يعرفون مؤهلاته وقدراته التنظيمية والعسكرية حق المعرفة[6]. أما المجاهد عثمان عكروت فيشير إلى أن التحاق القائد محمود الشريف بصفوف الثورة، ساهم إلى حد كبير في تعزيز القدرات القتالية التي كان يتوفر عليها جيش التحرير الوطني بناحية تبسة، أين نقل معه تجربة ومعارف وعلوم عسكرية كبيرة، وظفها بشكل جيد لخدمة النشاط الثوري وتطويره، وقد جسدها ميدانيا من خلال شروعه في تكوين فرقة الكومندوس التي تعد أولى بصماته الخاصة في مجال التنظيم القتالي، والتي أحدث من خلالها نقلة نوعية ظهرت إيجابياتها جليا في مختلف العمليات القتالية التي نفذتها باحترافية كبيرة، وهذا ما ساهم وساعد كثيرا أفواج جيش التحرير الوطني الناشطة في المنطقة وخفف عنها من شدة الضغط الملقى على عاتقها[7].

2.1 دواعي تكوين فرقة الكومندوس:

دفعت عوامل كثيرة بالقيادة الثورية إلى الموافقة على الطلب والاقتراح الذي تقدم به المجاهد محمود الشريف والرامي إلى تكوين فرقة من المجاهدين تُسند إليها مهام قتالية خاصة، حتى تساير التطورات التي كانت تشهدها الجزائر بعد قيام السلطات الاستعمارية الفرنسية برفع تعداد جيشها وإجراء تغييرات على مستوى هرم سلطتها في الجزائر من جهة، ومن جهة ثانية تسمح لقيادة جيش التحرير الوطني في البحث عن سبل تمكنها من توسيع رقعة النشاط الثوري وتستهدف مواقع عسكرية جديدة لمواجهة الإجراءات الفرنسية سالفة الذكر، وتتماشى ورغبتها الرامية إلى تأسيس وحدات محترفة تتجاوز الإطار السابق الذي كان تعمل في نطاقه أفواج الثوار، والقائم أساسا على تبني أسلوب الإغارة على الجيش

[5]- شهادة المجاهد الكامل قواسمية، مقابلة شخصية يوم 03 أوت 2022م، بمنزله العائلي بمدينة الشريعة ولاية تبسة.

[6]- نوار جدواني، سوانح في الفكر والحياة، منشورات دار الخلدونية، القبة القديمة، الجزائر، 2020م، ص ص 186، 188.

[7]- شهادة المجاهد عثمان عكروت، مقابلة شخصية يوم 19 أفريل 2023م بمنزله العائلي بمدينة بوفاريك ولاية البليدة.

الفرنسي، بهدف الحصول على الأسلحة والذخائر[8]، إضافة إلى أنها كانت ترمي في ذات السياق إلى التجسيد الفعلي لمضمون نداء جيش التحرير الوطني الموجه للشعب الجزائري في بداية الثورة، والذي قدم تعهدا بالتضحية بكل شيء من أجل الحرية والاستقلال[9]. من هذا المنطلق إذن، وجدت القيادة الثورية في المبادرة التي طرحها المجاهد محمود الشريف مبادرة تمكن من تعزيز الهيكلة الداخلية لجيش التحرير الوطني وتساهم في الانتقال إلى مرحلة تشكيل جيش نظامي، بلباسه الخاص ومجهز بأسلحة عصرية[10]. وهذا ما عبر عنه محمد تقية بقوله: "إنَّ القيام بالحرب يستدعي بالضرورة إنشاءَ وحدات تتميز بالنظام والانضباط والتكوين العسكري الجيد للدخول في المعركة المسلحة وقيادةً فيها الرتبُ العسكرية مثلها مثل جيوش العالم المعروفة"[11].

ولم يكن الانتقال إلى تجسيد هذا المسعى بالأمر الهين، فهو يتعلق أساسا بتطوير البنية البشرية التي يعتمد عليها جيش التحرير الوطني، والذي كان يعتمد في الفترة الممتدة من شهر نوفمبر 1954م إلى شهر ماي 1956م تقريباً، على عناصر كانت غالبيتهم ذات منشأ مديني[12]. وهذا ما دفع بالقادة الثوريين إلى البحث عن كيفيات تسمح لهم بتأسيس فرق خاصة أو ما اصطلح عليه بكتائب الكومندوس، من أجل المساهمة في تحقيق الهدف المنشود وتجسيد الرغبة المطلوبة، خصوصا وأن طبيعة المعركة ساعدت على ظهور رجال ذوي كفاءات حربية على مستوى الوحدات والوحدات الإقليمية لجيش التحرير الوطني. ويجد هذا الظهور تفسيره في كفاح مسلح، قواته المادية غير متكافئة، وظروف عيش المقاتلين فيه قاسية جدا، وعدد ضحاياه مرتفع جدا، ويقع مسرح عملياته أساسا في مناطق جبلية[13].

---

[8]- جوان غيليسبي، الجزائر الثائرة، تعر: خيري حمّاد، منشورات دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1961م، ص 134.

[9]- عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، تحر: موسى أشرشور، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر، 2003م، ص ص 212، 214.

[10]- هارتموت إلزنهانس، فشل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، دار القصبة للنشر، تر: أحمد بن محمد بكلّي، 2015م، حيدرة، الجزائر، ص ص 180، 181.

[11]- محمد تقية، الثورة الجزائرية المصدر، الرمز والمآل، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2010م، ص ص 220، 221.

[12]- خالد نزار، يوميات الحرب (الجزائر 1954-1962م)، تر: سعيد اللحام، منشورات آنيب، الجزائر، 2004م، ص 31.

[13]- عبد الرزاق بوحارة، منابع التحرير أجيال في مواجهة القدر، تر: صالح عبد النوري، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، 2005م، ص 146.

كل هذه العوامل إذن، أوجدت أرضية كانت هي المنطلق والرحم الذي احتضن الفكرة المختمرة في ذهن القيادة الثورية والرامية إلى تأسيس أول فرقة خاصة بناحية تبسة، لكنها لم تجد وإلى غاية بداية شهر أفريل 1956م القائد المناسب الذي ينجح في تحويل الفكرة إلى حقيقة واقعية، ويجسد الهيكل الجامع للكتيبة في الميدان، بالرغم من محاولات سابقة هدفت إلى تشكيل نواة لها عن طريق تكليف المجاهدين بتنفيذ عمليات فدائية في الأوساط الحضرية[14]، مثلما جاء في شهادة المجاهد الكامل نصر الله: "كنت أنشط ضمن صفوف مجموعة المجاهدين الفدائيين، أين تنقلت بمعية الشهيد جلالي عثمان خلال مناسبتين إلى مدينة تبسة من أجل تنفيذ عمليات فدائية بها"[15].

أو من خلال جهود القيادة الثورية في تكثيف العمل الفدائي من خلال تشكيل مجموعات للفدائيين تنشط على مستوى مدن الناحية، بهدف نقل الثورة من الجبال إلى المدن، وتخفيف الضغط الذي تمارسه الوحدات العسكرية الفرنسية على أفواج جيش التحرير الوطني، ومحاولة لصناعة توازن بين الأدوار التي يؤديها الوسط الريفي والوسط الحضري، حتى يحدث تكامل وانسجام في العمل الثوري الذي تشهده الناحية، وقد أدت هذه المجموعات دورا فعالا جدا، إذ وصل تعداد الفدائيين المنضوين في

[14]- شهدت جهات ناحية تبسة تنفيذ العديد من العمليات الفدائية، كان من بينها عملية اغتيال القايد علي الفركاني بسبب مواقفه الرافضة للثورة، وعملية اغتيال المخازنية الأجانب ذبحا بمدينة الشريعة، ومهاجمة محل يهودي باستخدام قنبلة يدوية، للمزيد انظر: - محمد حسن، سيرة وشهادات المجاهد محمد حسن عن الثورة التحريرية بأوراس النمامشة، تحر: طارق عزيز فرحاني، دار المثقف للنشر التوزيع، باتنة، الجزائر، 2020م، ص 137. - عمار جرمان، الحقيقة مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الاستقلال، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص 24. - محمد هنين، مذكرات من نار ونور، الوطنية للإشهار المتقدم والطباعة الشاملة، ميلة، الجزائر، د ت، ص 09.

[15]- شهادة المجاهد الكامل نصر الله، شهادة مسجلة بتاريخ 24 ماي 2006م بالمتحف الولائي للمجاهد تبسة.

تشكيلاتها إلى حوالي 93 فدائيا، كانوا يقومون بتنفيذ عمليات تستهدف قتل الخونة رميا بالرصاص[16]، بالإضافة إلى استخدام القنابل اليدوية خلال هجوماتهم المختلفة[17].

لكن تجسيد هذا المسعى لم يظهر بشكل فعلي إلا بعد التحاق المجاهد محمود الشريف بصفوف جيش التحرير الوطني بناحية تبسة، والذي نقل معه خبرة وتجربة عسكرية[18]، اكتسبها خلال فترة خدمته في صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي نظرا لكونه كان ضابطا سابقا برتبة ملازم أول في سلاح الفرسان[19]. إضافة إلى كونه رجلا مثقفا ثقافة تؤهله للقيادة، إلى جانب ما كان يمتاز به من خبرة جيدة في حسن التنظيم العسكري وسداد الرأي وبعد النظر. وقد عُرف عنه أنه كان رجلا كثير التأني شديد التريث

---

[16]- عبر الجنرال الفرنسي راؤول صالان عن المهام المُسندة للمجموعات الفدائية قائلا: "في المدن، يقوم الخارجون عن القانون (يقصد المجاهدون) بتشكيل خلايا من المقاتلين مكلفين بتنفيذ عمليات الاغتيال، والتصفية للسكان الفرنسيين من أصل جزائري، ومن أعوان السلطات، وعناصر الجيش والأمن". للمزيد انظر:

-Raoul Salan, MÉMOIRES, FIN D'UN EMPIRE, Presse de la cite, Paris, 1972, p 31.

[17]- من بين الفدائيين الذين نشطوا في ناحية تبسة نذكر: قراري أحمد (قائد مجموعة الفدائيين الناشطين بمدينة تبسة)، دغبوج حسين، عمار الكيلو، رحامنية المكي، سكيو أحمد، نصر الله الكامل، فرحي مبروك، مبروك حمادي، فتحون خالد، حداد عبد المجيد، ضيف الله صالح، بوعلاق التهامي، علاق محمد، مساعدي محمد، بوقروش إبراهيم، شتيلو بشير، لغريسي علي، طبيب خالد، مصابحية علي، رمضاني عمارة، بنوة عبد القادر، رحال عبد القادر، عثامنية محمد، هادفي خلف الله، بواسي بلقاسم، لغريسي عبد الله، هنين حمة، مسعود صالح، عبد القادر زعبوط، بوزيد سماعلي، عزيزي عبد السلام، معلم خليل، عثمان جلالي، شوقي الصولي، شعبور أحمد، ودي سالم، عباسي بوبكر، بوزيد لخضر، طرابلسي الهادي، لغريسي مبارك، طرابلسي مصطفى، عمراني مسعود، لغريسي بشير، بوكحيل العربي، عبد الكريم، ساكر العربي. للمزيد انظر: حمة هنين، لمحة مختصرة عن دور الفدائيين بولاية تبسة، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الأول حول دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، إنتاج جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة ولاية تبسة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ت، ص ص 183، 185.

[18]- الطاهر زبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962م، منشورات آنيب، الجزائر، 2008م، ص 172.

[19]- طارق عزيز فرحاني، المجاهد القائد ساعي فرحي (1910-1964م)، ج 02، دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2023م، ص ص 391، 392.

في الأمور الصعبة لا يدخل الحرب إلا إذا رأى أن ليس له بد من دخولها، ولكنه يعرف كيف يخرج منها منتصرا[20]. كل هذه الصفات القيادية التي كان المجاهد محمود الشريف يتحلى بها، دفعت بالمؤرخ الفرنسي جاك دوشمان إلى تصنيفه ضمن مجموعة من ثمانية رجال، أرجع إليهم الفضل في نجاح الثورة الجزائرية، حيث كتب في هذا الصدد: "تبقى الحقيقة أن نجاح الثورة في بداياتها منوط بالقدرات العسكرية لثمانية رجال، من أصول وطباع مختلفة لكن ومع اختلافهم، حتمت عليهم الظروف التكيف مع شكل معين من الكفاح. جميعهم فهم الدرس جيدا، جميعهم لجؤوا إلى موارد الحرب الهدامة. هؤلاء هم الرجال الثمانية الذين منحوا جيش التحرير الوطني عاداته وهيكله"[21].

3.1 شروط القبول ضمن فرقة الكومندوس:

نظرا لما كان يتحلى به المجاهد محمود الشريف من صفات وتجربة عسكرية، خصوصا وأنه كان ضابطا سابقا مدربا على طراز عالٍ، فقد سارع لجمع أفراد مؤهلين للانضمام إلى فرقة الكومندوس التي ينوي تكوينها، حيث وضع في البداية شرطين أساسيين كان يعتمد عليهما خلال عملية اختيار المجاهدين الذين كان من المزمع أن يكونوا هم النواة الأولى التي ستتكون منها فرقة الكومندوس، وهذين الشرطين يتمثلان في:

- ترشيح مجاهدين من بين الذين سبق لهم تأدية الخدمة العسكرية.
- حيازة المجاهدين على أسلحة جيدة[22].

4.1 أصل التسمية:

اختار القائد محمود الشريف أن تحمل الفرقة التي شرع في تكوينها تسمية فرقة الكومندوس، مثلما تشير إلى ذلك شهادات المجاهدين، وهي تسمية عسكرية خالصة، وتعني الفرقة التي تضم نخبة أو خيرة مجاهدي جيش التحرير الوطني الناشطين في ناحية تبسة، وهو تنظيم عسكري جديد استحدثه القائد محمود الشريف ولم يكن معمولا به من قبل[23]، وهذا ما يؤكده المجاهد بشير هيبي في مذكراته

[20]- محمد زروال، اللمامشة في الثورة دراسة، ج 02، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م، ص ص 374، 377.

[21]- جاك دوشمان، تاريخ جبهة التحرير الوطني، منشورات ميموني، تر: موجد شراز، برج البحري، الجزائر، 2013م، ص 97.

[22]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 186.

[23]- علي العياشي، بعد حياة عامرة بالجهاد العقيد محمود الشريف يلتحق بالرفيق الأعلى، مجلة أول نوفمبر، ع 87، الجزائر، نوفمبر 1987م، ص 72.

قائلا: "عقب انضمام محمود الشريف إلى صفوف جيش التحرير الوطني طلب مباشرة من قيادة المنطقة تكليفه بهمة الإشراف على مجموعة من المقاتلين أسماها: [فرقة الكومندوس]"[24]. وقد حملت الكتيبة تسمية ثانية وهي "المسبلين"، والتي وردت في وثائق جيش التحرير الوطني التي حجزتها وحدة من وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي في محفظة القائد "سماعلي صالح" خلال إحدى العمليات العسكرية، وتم تسجيل اسم القائد محمود الشريف فيها كرئيس للمسبلين، وفي محاولة منها لوضع تعريف لهذا المصطلح، أشارت مصالح الاستعلامات الاستعمارية الفرنسية بأن المقصود به هو: "متطوعون من أجل الموت"، وقد وردت هذه التسمية في تقريرها المرجعي رقم: 1590 الصادر عن مركز الاتصال والعمليات بتبسة، بتاريخ 21 سبتمبر 1956م[25].

وإذا كانت مصالح الاستعلامات الاستعمارية الفرنسية اعتمدت هذه التسمية في تقاريرها حتى تُعرف بالفرقة التي كونها المجاهد القائد محمود الشريف، فإننا نجد بأن المجاهد نوار جدواني خلال تأريخه للفرقة وظروف ظهورها، اسمها بتسميتين: الفرقة استشهادية والفرقة الانتحارية، التي بثت الرعب والفزع في نفوس القوات الفرنسية، وأعوانها من رجال القومية والحركى، المرابطة في الناحية[26]، أما المجاهد صالح بناني فيذكر بأن الفرقة أنشئت من أجل تنفيذ عمليات خاصة تشتبه عمليات المغاوير في الجيوش المحترفة، أين كانوا يستهدفون من خلالها وحدات ومراكز الجيش الاستعماري الفرنسي ويقتلون الجنود الفرنسيين العاملين بها من أجل استرجاع الأسلحة الحربية من عندهم، ويقتحمون المواقع الحصينة بالمدن، وقد كانت تنشط باستقلالية عن بقية فصائل جيش التحرير الوطني الناشطة بناحية تبسة [27]، وهذا ما يدل على أن الفرقة أنشئت من أجل القيام بالعمليات الصعبة وغاية في الخطورة.

2. أولى العمليات العسكرية لفرقة الكومندوس بناحية تبسة:

ضمت فرقة الكومندوس التي تمت تكوينها خلال شهر ماي 1956م 37 مجاهدا[28] من خيرة مجاهدي المنطقة تدريبا وشجاعة وتسليحا[29]، يضاف إليهم المجاهد القائد محمود الشريف والذي تقلد أول مسؤولية قيادية له في صفوف جيش التحرير الوطني على إثر تكوين هذه الفرقة، وهذا ما عبر عنه

[24]- بشير هيبي، مذكرات الضابط بشير هيبي، دار سيفار للنشر والطباعة والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2023م، ص 116.

[25] - Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[26]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص ص 180، 185.

[27]- شهادة المجاهد صالح بناني، مقابلة شخصية يوم 11 فيفري 2023 بمنزله العائلي بمدينة تبسة.

[28]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 186.

[29]- علي العياشي، مرجع سابق، ص 72.

المؤرخ الفرنسي جاك دوشمان: "التحق محمود الشريف بصفوف جيش التحرير الوطني حيث تولى قيادة المغاوير"[30]. وبعد تكوينه للفرقة قام بعقد أول اجتماع مع أفرادها في جبل آرقو، وألقى خلاله خطابا تشجيعا وتعريفيا بنوعية المسؤوليات الملقاة على عواتقهم، أين جاء في خطابه الآتي: "أبنائي! إننا ذاهبون إلى القيام بأولى عملياتنا، وعلى كل واحد منكم أن يكون في مستوى المسؤولية، وستكون عملياتنا خطيرة، وعليكم أن تبرهنوا على قوتكم ورجولتكم"[31].

إن مضمون الخطاب الذي ألقاء المجاهد القائد محمود الشريف على مسامع أفراد فرقة الكوماندوس، يعد تطبيقا لقاعدة تعد من القواعد المهمة التي يتوجب اتباعها خلال الحروب، والتي تقضي بأن يسعى القائد العام في أول الأمر إلى القيام بجمع قواته للقضاء على قوات العدو برمتها[32]. من هذا المنطلق إذن توجهت أنظار القائد محمود الشريف إلى البحث عن أولى الأهداف التي ستتم مهاجمتها من طرف أفراد فرقة الكوماندوس، فوقع اختياره على مدينة تبسة التي تعد مقرا لقيادة القوات الفرنسية المنتشرة بالناحية، وبهذا نجد أن العقيدة العسكرية التي كان يتعبها المجاهد القائد محمود الشريف في هذه المرحلة كانت قائمة على الخطوات الآتية:

- إتمام عملية جمع وتجهيز الفرقة في ظرف زمني وجيز.
- إلقاء خطاب على مسامع الأفراد الذين يقودهم شرح لهم فيه طبيعة المهام المُسندة لهم، ورفع معنوياتهم في الوقت نفسه، لضمان تحقيق نتائج إيجابية.
- المرور إلى مرحلة اختيار مدينة تبسة كأول موقع ستتم مهاجمته من طرف أفراد الفرقة.

وبعد استكمال كل الترتيبات الضرورية تحرك المجاهد القائد محمود الشريف وأفراد فرقة الكوماندوس، إلى مدينة تبسة من أجل مهاجمة المراكز التي تتواجد بها وحدات الجيش الاستعماري الفرنسية[33]. ويأتي هذا التحرك في إطار التكتيك الحربي الذي كان يستخدمه الثوار الجزائريون، باعتبار أنهم هم من كانوا يختارون موقع المعركة في أغلب الأوقات، مستغلين عامل معرفتهم الحسنة بالميدان والأرض، ثم يقومون بتنفيذ هجومات مباغتة ضد المفارز الفرنسية المنعزلة، لإحداث خسائر في الأرواح، والاستيلاء على الأسلحة المتوفرة لديها[34]. وتعود الأسباب التي دفعت بالمجاهد القائد محمود الشريف إلى

---

[30]- جاك دوشمان، مرجع سابق، ص 102.

[31]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 187.

[32]- شارلزفير فريزر طونزند، مذكرات الفريق طونزند، تق: حامد أحمد الورد، الدار العربية للموسوعات، ط 02، لبنان، 1986م، ص 19.

[33]- شهادة المجاهد الكامل نصر الله، مصدر سابق.

[34] -Ted Morgan, Ma bataille d'Alger, Témoignage, Confessions d'un Américain au cœur d'un drame français, éditions Taillandier, 2016, p 45.

اختيار مدينة تبسة، كأول موقع تتم مهاجمته من طرف أفراد فرقة الكوماندوس، إلى عدة اعتبارات استراتيجية كانت تمليها الضرورة الثورية، فالمدينة تضم عدة مقرات فرنسية مهمة من بينها مقر الحاكم الفرنسي، ومقر الفرقة 07 ميكانيكية ومقر قيادة المنطقة العملياتية الشرقية الجنوبية[35]، المستحدثة في إطار الإجراء التنظيمي في الهيكل التنظيمي العسكري لقيادة الناحية العاشرة (الجزائر)[36]، والذي قامت به قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي بعد اندلاع الثورة التحريرية[37].

1.2 التكتيك القتالي للمجاهد القائد محمود الشريف:

اعتمد المجاهد القائد محمود الشريف على تكتيك قتالي جديد. أظهر من خلاله عبقريته في القيادة، وسعى من خلاله إلى اختصار الوقت قد المستطاع حتى يصل إلى القوات الفرنسية المعادية التي اختار أحد مراكزها كهدف لمباغتته، ويمنع أفرادها من تنظيم أنفسهم والاستعداد للمواجهة، والا يترك لهم فرصة للدفاع الجيد[38]، وقد ألزم أفراد فرقة الكومندوس على التحرك وفقا لقواعده، حيث استحدث

---

[35]- من بين الأساليب التي لجأت إليها قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي في إطار محاولاتها لتطويق الثورة التحريرية، القيام بنقل الفرقة الثانية للمشاة للنشاط في مقاطعة شرق قسنطينة، حيث أسندت قيادتها للجنرال رودون في سنة 1956م خلفا للجنرال بوفر، للمزيد انظر: خالد نزار، مرجع سابق، ص 236.

[36]- قسمت قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي القطر الجزائري عسكريا بعد اندلاع الثورة إلى أربعة أقسام كبرى، وكل قسم من هذه الأقسام يترأسه قائد فيلق الجيش، وتم تقسيم هذه الأقسام إلى عدة قطاعات عملياتية، حيث تتمركز في كل قطاع عملياتي فرقة (division) وهي وحدة عسكرية يتراوح عدد أفرادها من 08 آلاف إلى 20 ألف وأكثر، وتضم عدة أفواج (Régiment) تنشر بدورها على مستوى الدوائر والبلديات والقرى. وقد توزعت الأقسام الكبرى على: القسم الأوسط ويشمل الجزائر العاصمة وما جاورها. قسم الناحية الغربية والذي يشمل وهران وما جاورها. قسم الناحية الشرقية والذي يتمركز به فيلق جيش قسنطينة وهي مقر قيادة القسم، ويضم هذا القسم خمس قطاعات عملياتية تتوزع على: العملياتية الغربية ومقرها مدينة سطيف، المنطقة العملياتية الشمالية الشرقية ومقرها مدينة عنابة، المنطقة العملياتية الجنوبية ومقرها مدينة باتنة، المنطقة العملياتية الشرقية ومقرها مدينة سوق أهراس، المنطقة العملياتية الشرقية الجنوبية ومقرها مدينة تبسة. الصحراء الجزائرية والتي كانت تخضع لحكم عسكري صرف. للمزيد انظر:

[37] -Raoul Salan, op.cit, p 31.

[38]- ذكر الجنرال جان بيريه أن الحرب تقوم على ست قواعد وهي: تأمين الحيطة، ويتطلب ذلك تطبيق الحماية بناء على دراسة إمكانيات الخصم، والبحث عن مفاجأة هذا الخصم مع الاعتماد على تصرفه غير المتوقع. الاقتصاد بالقوى في المكان والزمان، التجمع، ملاءمة الوسائل مع الهدف، المبادأة، للمزيد انظر:

هذا التكتيك بنفسه، مستغلا تجربته العسكرية التي اكتسبها سابقا في هذا المجال، ويقوم التكتيك على القواعد الخمس الآتية:

- بدء تحرك أفراد فرقة الكومندوس من مركز قيادة جيش التحرير الوطني في منتصف نهار يوم 14 ماي 1956م باتجاه مدينة تبسة، من أجل مهاجمة أفراد فرقة الحركى المكلفين بحراسة محطة ضخ المياه.
- ترك مسافة فاصلة بين أفراد فرقة الكومندوس تقدر بخمسين مترا بين كل مجاهد والمجاهد الذي يسير خلفه، وفقا لهذه القاعدة قدرت المسافة الفاصلة بين أول مجاهد وآخر مجاهد بحوالي 02 كيلومتر.
- الاستفادة من عامل المناخ وتوظيف العوامل الطبيعية الأخرى لتغطية وتمويه تحركات أفراد كتيبة الكوماندوس، والذين شرعوا في تنفيذ أولى مهامهم القتالية في منتصف شهر ماي 1956م، وهو الشهر الذي يمتاز بحرارته المعتدلة، حيث كانت هذه السنة سنة خير وعام "صابة"[39] مثلما تُسمى محليا وقد نمت فيها حقول القمح والشعير وتجاوز طول سنابلها طول الرجال الذين لم يظهروا بسببها، أين استخدم المجاهدون هذه الحقول لتمويه تحركاتهم خلال عملية سيرهم[40].
- استخدام صفارة لتنبيه المجاهدين، وهي طريقة مبتكرة ولم تكن مستخدمة من طرف القادة الثوريين من قبل، وكانت تستخدم ككلمة سر، فحينما كان المجاهد القائد محمود الشريف يطلق الصافرة الأولى كان على بقية أفراد فرقة الكومندوس أن ينبطحوا أرضا في مواقعهم كدلالة على وجود خطر وتسجيل تحركات مشبوهة في الجهة، وفقا للحالة السائدة كان المطلوب منهم التزام مواقعهم حتى سماعهم للصافرة الثانية التي تعتبر إشارة على أن الوضع طبيعي ولم يسجل خطر أو تحرك مشبوه وأنه يتوجب عليهم الوقوف ومواصلة عملية المشي.
- تجنب السير في الطرق الجبلية، وهي قاعدة راسخة كان المجاهدون يعملون بها في الفترة الماضية، لكن المجاهد القائد محمود الشريف حاد عن هذه القاعدة ربحا للوقت وحتى يتجنب إرهاق

جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تعر: أكرم ديرى، هيثم الأيوبي، ط 02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1986م، ص 19.

[39]- يطلق ساكنة منطقة تبسة تسمية الصابة على السنة التي تمتاز بوفرة انتاجها الفلاحي.

[40]- كان الضباط الفرنسيون يتابعون تحركات المجاهدين والمعاقل التي كانوا يتمركزون بها، باستخدام كل الوسائل المتاحة لديهم، خاصة سلاح الطيران الذي كان أسرابه تحلق بشكل مستمر فوق جبال ناحية تبسة، للمزيد انظر:

-Jean Callet, Hiver a Tebessa, édition Berger-Levrault, Paris, 1959, p p 60-109.

المجاهدين الذين كان يعمل على أن يبقوا في حال جاهزية تامة ولياقة بدنية عالية تساعد على تنفيذ المهمة بدقة، وكان يعمل بها إلا في حال الضرورة القصوى، عندما يعترض جبل أو هضبة الطريق الذي كان يسلكه أفراد فرقة الكومندوس[41].

2.2 مهاجمة محطة ضخ المياه بمدينة تبسة 14 ماي 1956:

عن الظروف التي وقع فيها هذا الهجوم يتحدث المجاهد يوسف جدواني: "عندما وصلنا إلى مشارف المدينة، أخدنا قسطا من الراحة في جبل يسمى "عين ساري"، أين أجرينا اتصالنا بمسؤول مدني يسمى عبودة الذي أحضر لنا وجبة العشاء التي تناولناها في موقع تمركزنا، وبعد استراحة قصيرة، تحركنا خلال بداية الليل، فوصلنا المدينة في حدود الساعة العاشرة ليلا، أين اخترنا مهاجمة مركز حراسة محطة ضخ المياه أقيم في الجانب السفلي للمدينة من جهة الشمال، حيث كلفت القيادة العسكرية الاستعمارية الفرنسية أفراد وحدة من فرقة الحركى بحراسة هذه المحطة. في خضم ذلك قام المجاهد القائد محمود الشريف بتوزيع أفراد الفرقة وفقا لخطة عسكرية مضبوطة على النحو الآتي:

- كلف المجاهد يوسف جدواني المسلح بالبندقية الرشاشة 29/24 بالتمركز في مفترق الطرق الذي يقع على بعد 100 متر من الموقع الذي تتواجد به محطة ضخ المياه، وطلب منه أن يهاجم وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي من كل اتجاه تأتي منه، حيث جعل منه فرد ارتكاز يعمل على فرض السيطرة على جميع المنافذ المؤيدة إلى محطة ضخ المياه[42].
- تمركز المجاهد القائد محمود الشريف المسلح ببندقية فيزي ڤارة بجانب الموقع الذي تمركز فيه المجاهد يوسف جدواني.
- تقسيم باقي أفراد الفرقة إلى حضيرتين، كلف أفراد الحضيرة الأولى بعملية محاصرة محطة الضخ من جميع الجهات المحيطة بها، فيما كلف أفراد الحضيرة الثانية بعملية اقتحام المحطة وأسر أفراد الحراسة المتواجدين بداخلها عند بداية الاشتباك وإطلاق النار.

---

[41]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 190.

[42]- تدل الإجراءات التي أتخذها المجاهد القائد محمود الشريف خلال قيامه برسم خطة الهجوم بأنه كان يسعى للمحافظة على أرواح أفراد فرقة الكوماندوس التي يقودها، وهي إحدى الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد الماهر حسب تعبير المارشال اللورد مونتغمري، حيث يقول في هذا الصدد: "القائد الماهر هو ليس الذي يربح المعارك فحسب، بل يجب أن يربحها بأقل خسائر في الأرواح". انظر: مونتغمري، السبيل إلى القيادة، تر: حسن مصطفى، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1966م، ص 62.

نجحت الخطة التي رسمها المجاهد القائد محمود الشريف وتمكن أفراد فرقة الكومندوس من إلقاء القبض على ستة أفراد من فرقة الحركى المكلفين بعملية الحراسة، وأسرهم أحياءً وكمموا أفواههم وقيدوهم وأخذوا بنادقهم الحربية وذخيرتها الحية، غادر المجاهدون محطة الضخ بعد ذلك، واتخذوا من السكة الحديدية التي تخترق مدينة تبسة طريقا لهم"[43]، وبعد قطع مسافة تقدر بحوالي 200 متر من محطة الضخ، رفض الأسرى أن يوصلوا المشي مع المجاهدين، الذين حالوا إرغامهم على المشي، لكن هذه المحاولات لم تأتي بنتيجة فقام أفراد فرقة الكومندوس بذبح الأسرى الواحد تلوى الآخر على مسافات متباعدة، أما الأسير السادس فأبدى استعداداه للمشي مع المجاهدين، الذين طلبوا منه أن يقدم لهم كلمة السر التي يستخدمها أفراد المركز الثاني، لكنه رفض أن يتعاون معهم مما اضطر المجاهدين إلى ذبحه هو الآخر، لكنه لم يفقد حياته ونجى من الموت. أما أفراد فرقة الكومندوس فقد واصلوا عملية انسحابهم، أين طلب منهم المجاهد القائد محمود الشريف أن يتجهوا بسرعة إلى جبل بُورمّان الواقع في شرق مدينة تبسة، وهو جبل يبعد عن المدينة ومحاذي للشريط الحدودي الفاصل بين الجزائر وتونس ويتصل جغرافيا بسلسلة من الجبال التي تقع في العمق التونسي، وقد اعتمد المجاهد القائد محمود الشريف هذا الإجراء حتى يتفادى العمليات الهجومية التي ستنفذها وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي في الجبال المحيطة بمدينة تبسة في اليوم الموالي، والتي توقع حدوثها مسبقا، وفي طريق خروجهم من المدينة التقى أفراد الفرقة بقوافل الجلاّبة الذين كانوا يجبلون أغنامهم وأبقارهم لبيعها في السوق الأسبوعي للمدينة الذي سيقام في الصبيحة، فنصحوهم بالعودة من حيث أتوا، لأن يوم الثلاثاء سيكون يوما عصيبا على المدينة وسكانها، وكانوا يخشون أن تنتقم القوات الفرنسية منهم[44]، ثم واصل المجاهدون طريقهم إلى جبل بُورمّان أين تمركزوا هناك، ومثلما توقع المجاهد القائد محمود الشريف، فقد هاجمت

[43]- يربط خط السكة الحديدية بين منجم جبل العنق ببئر العاتر جنوبا ومدينة عنابة شمالا.

[44]- لجأ المجاهد القائد محمود الشريف وأفراد فرقة الكومندوس إلى هذا الأسلوب، حتى يجنبوا المدنيين الوقوع في سيناريو مشابه لما حدث في مدينة تبسة خلال يوم 04 مارس 1956م، بعد نجاح عملية فدائية نفذها المجاهد بوزيد اسماعلي بداخل السور البيزنطي، وتمكن خلالها من القضاء على جندي مظلي فرنسي، والتي أدت إلى قيام وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي بشن عملية انتقامية من سكان المدينة، أين اعتدوا خلالها على المدنيين العزل باستخدام العصي والقضبان الحديدية، وحرقوا مستودعاتهم ووسائل نقلهم وعتادهم، ومصعنين للتبغ، وحرقوا جميع المحلات الموجودة بالسوق الشعبي، وأسفرت هذه العملية الانتقامية على استشهاد 14 مدني، واقتياد عدد آخر إلى ثكنة عسكرية فرنسية، والذين في تعداد المفقودين إلى يومنا هذا. للمزيد أنظر: عمار جرمان، من حقائق جهادنا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص ص 323، 324.

وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي في يوم 15 ماي 1956م جبال: العنبة، الدُّكّان، ونوال، والدَّير[45]، بحثا عن أفراد فرقة الكومندوس الذين نفذوا الهجوم الذي استهدف محطة ضخ المياه، دون أن تفكر القيادة العسكرية الفرنسية في مهاجمة جبل بُورمّان الذي تمركز به المجاهدون"[46]. أما مصالح مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة، فقد أشارت في تقريرها المرجعي رقم: 738 الصادر بتاريخ 18 ماي 1956 إلى أن محمود الشريف وأفراد مجموعته هم من يقفون وراء الهجوم وذبح 06 من أعوان الامن في مهمة بمحطة ضخ المياه بتبسة ليلة 14 إلى 15 ماي[47].

3.2 هجوم ليلي على مركزعسكري بوسط مدينة تبسة 15 ماي 1956:

في يوم 15 ماي 1956م عاد أفراد فرقة الكومندوس إلى مشارف مدينة تبسة، أين أخذوا قسطا من الراحة لمدة قصيرة في مرتفعات جبل الدكان الذي يحد مدينة تبسة من جهتها الجنوبية، وبعد إتمام كافة التحضيرات اتجهوا صوب وسط مدينة تبسة، أين قرروا شن هجوم ثان على مركز عسكري فرنسي يقع بالقرب من مقر إقامة الحاكم الفرنسي[48]، حيث اختار المجاهد القائد محمود الشريف الساعة العاشرة ليلا كساعة لتنفيذ الهجوم، تزامنا مع تبديل الجنود المكلفين بالحراسة، وهي العملية التي تتم في كل ساعتين. واعتمد خطة تعتمد على يتكفل بمعية المجاهد جدواني يوسف بمهاجمة أفراد الحراسة[49]، فيما كلف باقي أفراد الفرقة بمهاجمة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يقضون ليلتهم بداخل الخيام المنصوبة في ساحة المركز، وقد تسبب عامل المفاجأة في مقتل العديد من الجنود الفرنسيين، الذين لم

[45]- سيحتضن جبل انوال في يوم 27 نوفمبر 1956م واحد من بين كبريات المعارك التي خاضتها وحدات جيش التحرير الوطني بالمنطقة السادسة تبسة، والتي خلفت مقتل العشرات من الجنود الفرنسيين، للمزيد انظر:

-Jean Balazuc, Le 2e Régiment étranger de parachutistes pendant la guerre d'Algérie, Editions L'Harmattan, paris, 2020, p p 18-20.

[46]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص ص 191، 192.

[47]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[48]- أقيم مقر هذا المركز في الأرض التي شيدت عليها ثانوية مالك بن نبي في وقتنا الحالي بمدينة تبسة.

[49]- حسب التقارير الأمنية الفرنسية فقد كانت أفواج جيش التحرير الوطني بالمنطقة الأولى مسلحة ببنادق: رشاشات فرنسية وأمريكية، قاران أمريكية، موسكوتون فرنسية، موزر، ستاتي، بنادق صيد، ماص 49، ماص 36، للمزيد انظر:

- 1H 2583, D1, Activités Politique et militaire des Rebelles 1955-1960.

يتوقعوا أن تتم مهاجمة المركز بهذه الجرأة[50]، وهذا ما دفعهم إلى الفرار وهم عراة للاحتماء بجدران المنازل القريبة من المركز، أما أفراد الفرقة وعند الانتهاء من تنفيذ الهجوم انسحبوا من المدينة واتجهوا إلى جبل أنوال[51].

خلفت العمليتان القتاليتان المتسلسلتان التي نفذتها فرقة الكومندوس في مدينة تبسة نتائج عديدة، عبر عنها المجاهد الطاهر زبيري قائلا: "قام هذا الكومندوس بعمليّة جريئة هي الأولى من نوعها في قلب مدينة تبسة ودوّى الرصاص في أزقة المدينة الهادئة التي لم يسبق وأن اهتزت أركان القوات الفرنسية بها بهذا الشكل من قبل، وأحدثت العملية صدى واسعا في نواحي النمامشة، فلم يكن هناك من يجرؤ على اقتحام المُدن الكبرى والمعززة بقوات الشرطة والدرك والجيش والشنابيط ويخرج سالما"[52]. أما المجاهد عثمان سعدي فيتحدث بدوره عن النتائج الإيجابية التي حققتها فرقة الكومندوس خلال بداية عملها قائلا: "وبعدها سلم لزهر شريط لمحمود فرقة خاصة من بينهم الوردي زروف، وكون منهم مجموعة فدائية خاصة وهو الضابط المتدرب سابقا بالجيش الفرنسي، حيث أثارت الرعب في وسط الجيش الفرنسي"[53]. ولم يتوقف عمل فرقة الكومندوس عند هذا الحد فقط بل واصل مجاهدو الفرقة عملهم واستهدفوا مدينة الشريعة، وفق ما جاء في شهادة المناضل قدور قواسمية، التي يتحدث فيها عن هذه العملية بقوله: "بعد التحاق محمود الشريف بصفوف جيش التحرير الوطني انقطعت أخباره عني، حتى جاءني مع فريق الكومندوس وأقاموا في منزلي، ومنه هاجموا مدينة الشريعة"[54].

3. الخصائص العامة لكتيبة الكومندوس:

1.3 تحول فرقة الكوماندوس إلى كتيبة للكومندوس:

لم تمض فترة قصيرة على تأسيس فرقة الكومندوس حتى تحولت إلى كتيبة تضم في صفوفها حوالي 200 مجاهد، وعن ذلك يتحدث المجاهد الكامل قواسمية قائلا: "كنا متمركزين في جبل آرقو، أين كنا ننتظر عودة المجاهد القائد محمود الشريف وأفراد فرقة الكومندوس، بعد أن بلغتنا أخبار تفيد

---

[50]- نلاحظ أن المجاهد القائد محمود الشريف اختار توقيتا مناسبا وقاتلا لتنفيذ الهجوم، حيث جاء توقيت تنفيذه في الليلة الأولى التي أعقبت الهجوم على حراس محطة ضخ المياه، وهذا ما يدل على التكتيك عالِ الدقة الذي كان يتمتع به المجاهد القائد محمود الشريف.

[51]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص ص 192، 193.

[52]- الطاهر زبيري، مصدر سابق، ص 174.

[53]- عثمان سعدي، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2000م، ص 144.

[54]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 189.

بنجاح أولى العمليات القتالية التي نفذوها في مدينة تبسة، وبمجدر عودتهم شرع المجاهد القائد محمود الشريف في جمع مجاهدين آخرين لصفوفها من أجل رفع تعداد الفرقة، حيث تحدث مع المجاهدين الذين كانوا متمركزين في جبل آرڤو وأخبرهم بأنه يبحث عن متطوعين حتى ينضموا لصفوف الفرقة التي يقودها، وبعد سماع مجاهدي الناحية بالخبر، فاستجاب كثير منهم لطلبه، وكنت أحدهم، وما هي إلا مدة قصيرة حتى وصل تعدادنا إلى 184 مجاهدا متطوعا في صفوف الفرقة التي تحولت بذلك إلى كتيبة"[55].

2.3 تطور التعداد البشري:

تضمنت التقارير المخابراتية الفرنسية تفصيلا للتعداد البشري الذي كان يشكل كتيبة الكومندوس، والبداية كانت بقيام مصالح مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة بإصدار تقرير مرجعي يحمل رقم: 738/س بتاريخ 18 ماي 1956م يشير إلى أن محمود الشريف يقود مجموعة مكونة من 100 إلى 150 رجلا، بينما أشار التقرير المرجعي رقم: 370 الصادر عن مصالح بلدية مرسط في يوم 21 ماي 1956م، إلى أن تعداد الكومندوس وصل إلى 150 رجلا، وبعد يومين من صدور هذا التقرير أصدر مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة تقريرا مرجعيا يحمل رقم: 896 بتاريخ 23 ماي 1956م، يشير إلى أن مجموعة محمود الشريف تضم 100 رجل. وبتاريخ 12 جوان 1956م أعاد القائمون على هذا المركز إصدار تقرير آخر يحمل رقم: 970 يشير إلى أن محمود الشريف المعروف باسم محمود بن حمّة بن علي يترأس كومندوس من 36 رجلا، ثم صدر تقرير آخر من طرف المركز بتاريخ 06 جويلية 1956م، يحمل رقم: 1170/س يشير إلى أن المجاهد الطيب بن سلطان علوان ذكر في محضر استجوابه بأن تعداد مجموعة محمود الشريف بلغ 130 رجلا، وبدورها أصدرت مصالح شرطة الاستعلامات العامة تقريرا يحمل رقم: 1856 بتاريخ 13 جويلية 1956م يشير إلى أن مجموعة مكونة من 100 ثائر يقودهم محمود الشريف تواجدت في جبل بوجلال، بينما صدر تقرير آخر من مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة بتاريخ 17 جويلية 1956م يشير إلى أن محمود الشريف اقترب مع مجموعته التي تضم 200 رجل من الحدود[56].

الرقم	التاريخ	التعداد
01	18 ماي 1956م	بين 100-150 مجاهد
02	21 ماي 1956م	150 مجاهد
03	23 ماي 1956م	100 مجاهد
04	12 جوان 1956م	36 مجاهد
05	06 جويلية 1956م	130 مجاهد

[55]- شهادة المجاهد الكامل قواسمية، مصدر سابق.

[56] - Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

06	13 جويلية 1956م	100 مجاهد
07	17 جويلية 1956م	200 مجاهد

جدول 01 يمثل: تطور تعداد كتيبة الكومندوس حسب التقارير الأمنية الفرنسية.

من خلال الجدول نلاحظ:

- التغير المستمر في تعداد أفراد الكتيبة، في الاحصائيات المقدمة من طرف مصالح الاستعلامات الفرنسية، وهو ما يشير إلى عدم تمكنها وفشلها في التوصل إلى ضبط تعدادها الحقيقي، وهذا ما يفسر حرص القيادة الثورية على حفظ الأسرار المتعلقة بعملها ونشاطها.
- مع بداية تكوين الكتيبة، سارع كثير من المجاهدين إلى الانخراط في صفوفها، نظرا لنوعية العمليات القتالية التي كانت بصدد القيام بها.
- ارتفاع تعداد الكتيبة ووصول أفرادها إلى 200 مجاهد بعد مدة من النشاط العسكري، يوضح الأهمية البالغة، والسمعة الطيبة أو الكبيرة التي أصبحت الكتيبة تتمتع بها، بعد تنفيذها للعديد من العمليات النوعية الناجحة التي أحدثت صدى واسعا بداخل منطقة تبسة[57].

1.2.3 التركيبة البشرية لكتيبة الكومندوس:

تباينت التركيبة البشرية التي تكونت منها كتيبة الكومندوس، حيث نلاحظ أنها جمعت بين فئتين مختلفتين من حيث نوعية الخصائص والمؤهلات التي يمتلكها أفرادها. وهاتين الفيئتين هي:

1.1.2.3 فئة المجاهدين الذين التحقوا طواعية بصفوف جيش التحرير الوطني:

وهي فئة من المجاهدين الذين انضموا إلى صفوف جيش التحرير الوطني حبا في الجهاد، ورغبة منهم في تحرير الوطن من تلقاء أنفسهم مباشرة بعد اندلاع الثورة التحريرية، وفضلوا العمل والنشاط في الكتيبة، وهذه بعض أسماء هؤلاء المجاهدين: محمد الصالح الشريف، سكيو أحمد[58]. رابح عبد السلام المُكنى الطيب بن الشيخ، بلقاسم نصر الله، أحمد بوزيان الخلفاوي[59]. بلقاسم بناني ومحمد الصالح بناني[60].

في حين سجلت مصالح مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة في تقريرها رقم: 1294 الصادر بتاريخ 07 جويلية 1956م، تواجد أربعة مجاهدين ينحدرون من دوار نقرين الواقع بجنوب تبسة، ضمن تشكيلة كتيبة الكومندوس، ويتعلق الأمر بكل من: وهاب صالح بن عمار بن محمد (مولود يوم 27 أفريل

---

[57]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[58]- علي العياشي، مرجع سابق، ص 72.

[59]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 186.

[60]- شهادة المجاهد صالح بناني، مصدر سابق.

1913م بدوار نقرين)، الذي ينشط كمقاتل معه بندقية ستاتي. رجب الحاج بلقاسم بن محمد كوراري (مولود عام 1921م بدوار نقرين) الذي يملك بندقية ذات 05 طلقات[61]. رجب لزهاري بن محمد كوراري (مولود عام 1932م بدوار نقرين) الذي كان يحمل معه بندقية ستاتي[62]. وبلعيد صالح بن محمد (مولود عام 1918م بدوار نقرين) الذي يعمل كممون للكتيبة[63].

2.1.2.3 العناصر المحترفة:

تعد العناصر المحترفة إحدى الركائز التي تكونت منها كتيبة الكومندوس، باعتبار الخبرة والتجربة العسكرية التي كانت تتمتع بها هذه العناصر، والتي تعتبر رافد قوة مهمة نظرا لمعرفتهم بطريقة القتال المتبعة من طرف الجيش الاستعماري الفرنسي، وهذا ما ساهم في تشكيل كتيبة مقاتلة قوية بمزيج بشري متنوع، ومن خلال تتبع المسار المهني لبعض أفرادها يمكننا تقسيم هذه العناصر إلى فئتين مختلفتين، وهي:

1.2.1.2.3 فئة قدامى العساكر الجزائريين:

والمقصود بها هي فئة الجنود الجزائريين المحترفين الذين أنهوا الالتزامات المهنية التي فرضتها عليهم عقود التجنيد التي أبرموها سابقا ضمن الجيش الاستعماري الفرنسي، والتي سمحت لهم بالانضمام إلى صفوف وحداته، واتاحت لهم الفرصة لخوض تجربة عسكرية محترفة، تجسدت في مشاركتهم في حرب الهند الصينية التي تلقى فيها الجيش الاستعماري الفرنسي هزيمة نكراء، أين وقفوا فيها على حجم المأساة التي سلطتها ومارستها فرنسا الاستعمارية على شعب الهند الصينية، وخرجوا منها بقناعة أنهم سيقوا ليحاربوا شعبا أراد الحرية والانعتاق من قيود المستعمر الأجنبي، وبعد عودتهم إلى الجزائر التحق كثير منهم بصفوف جيش التحرير الوطني تلبية للنداءات التي رفعتها القيادة الثورية، وبذلك فهم يعتبرون خزانا بشريا ساهم في تطوير القدرات القتالية للثورة الجزائرية[64].

---

[61] -FR, A.N.O.M, C.9336/76 fiche Redjeb haj Belgacem, Tebessa 03 Janvier 1957.

[62] -FR, A.N.O.M, C.9336/76 Fiche Redjeb Lazhari ben Med Kourari, Tebessa 03 septembre 1958.

[63] -FR, A.N.O.M, C.9336/76 Fiche Belaid Salah ben Mohamed, Tebessa 07 Juillet 1956.

[64]- التحق العديد من قدماء المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي بصفوف جيش التحرير الوطني، خاصة المشاركين منهم في حرب الهند الصينية، ومن هؤلاء من تقلد مسؤوليات قيادة الأفواج الميدانية على غرار الشقيقين الشهيدين الطيب وعمار لعجال وغيرهم كثير. للمزيد انظر: الطاهر عفيف، من رموز الثورة في ولاية تبسة الشهيد علي عفيف، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2009م، ص 46.

يعد المجاهد عمري عمار بن يوسف نموذجا لقدماء العساكر الجزائريين الذين تجندوا في صفوف الجيش الفرنسي، ثم التحقوا بصفوف كتيبة الكومندوس في ناحية تبسة، حيث نجده قد تجند في شهر جانفي 1953م ضمن أفواج الرماة الجزائريين، وبعد فترة التدريب العسكري والعمل في وحدات الرماة الجزائريين، حُولِ مثل غيره من المجندين الجزائريين إلى الهند الصينية للمشاركة في الحرب التي تشنها القوات الفرنسية ضد الشعب الفيتنامي، وبعد نهاية الحرب عاد إلى الجزائر أين غادر صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي في شهر جانفي 1956م، ليلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني بناحية تبسة خلال شهر ماي 1956م، أين أدمج في فوج القائد فرحي حمة بن زروال، والذي عينه نائبا له ومنحه رتبة مرشح في صفوف جيش التحرير الوطني، وقائدا لفرقة وتحصل على إذن القيادة لحمل سلاح أمريكي، وبندقية رشاش 49 وأربعمائة ومسدس ألماني، وبعد مدة من النشاط طلب من القائد بشير ورتان أن ينقله للنشاط تحت قيادة الملازم الأول الشريف محمود، وأخبره بأنه سيكون مرتاحا تحت قيادته، لأنه يقود مثل الجيش الفرنسي، وعلاوة على ذلك فهو يعرفه. فأخطر القائد بشير بولحية القائد فرحي حمة بن زروال الذي أعطاه موافقته، وفي نفس الليلة التقى بمحمود الشريف الذي كان متواجدا مع مجموعته في آرقو، فقبله القائد محمود الشريف على الفور كمرشح رئيس فصيلة في مجموعته لأنه كان يعرفه[65].

2.2.1.2.3 فئة الجنود الفارين من صفوف وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي:

شكلت فئة الجنود الجزائريين العاملين ضمن صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي بمختلف تشكيلاته، إحدى الدعائم التي راهنت عليها القيادة الثورية لتعزيز وتقوية صفوف جيش التحرير الوطني، حيث وجهت لهم مناشير عديدة تحثهم فيها على الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، ومنحت لهم فرصة المشاركة في عملية التحرير اسوة ببقية الجزائريين، وقد استجاب كثير منهم لهذه النداءات والتحقوا بطريقة طوعية وعن قناعة بصفوف جيش التحرير الوطني، وساهموا مساهمة فعالة في رفع مستويات القتال، وتقلد كثير منهم مسؤوليات عليا نظير الجهود التي بذلوها في الميدان. حيث ضمت الكتيبة في صفوفها عددا من الجنود الفارين الذين ينحدرون من شمال تبسة، وقد كان لهم دور بارز جدا وساهموا بإيجابية في ترقية عمل الكتيبة، ولعل أبرزهم الرقيب محمد بن العربي بن عرفة، الذي استغل فرصة عودته في إجازة إلى بيته العائلي فقام بالتوجه إلى جبل الدير وأحرق سيارة الجيب التي أحضرها معه، ثم التحق بالمجاهدين الناشطين في جبال ناحية تبسة[66]، إضافة إلى الرقيب الأول الوردي زروق الذي استجاب بدوره لنداء الوطن والتحق بصفوف إخوانه المجاهدين[67].

---

[65] -FR, A.N.O.M, C.9336/97 Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, 24 ans, Lieutenant Commandant un groupe rebelle. 28 Septembre 1957.

[66]- بطاقة استعلامات خاصة بالشهيد محمد بن عرفة. إعداد المنظمة الولائية للمجاهدين لولاية تبسة.

[67]- بطاقة استعلامات خاصة بالشهيد الوردي زروق، إعداد المنظمة الولائية للمجاهدين لولاية تبسة.

وفي هذا الإطار رصد مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة في تقاريره معلومات حول تحركات هؤلاء الأفراد، فالتقرير المرجعي رقم: 1167 الصادر بتاريخ 23 جوان 1956م يذكر بأن محمود الشريف مر خلال الليلة من 21 الى 22 بتروبية وتازبنت متوجها نحو تبسة بصحبة كوماندوس مكون من 15 رجل من بينهم 03 من "الڤومية" فروا من الشريعة. في حين يذكر التقرير رقم: 1135/س الصادر بتاريخ 01 جويلية 1956م بأن محمود الشريف قد تحول منذ عدة أيام الى منطقة ونزة-سوق أهراس مع مجموعة من الفارين. وإلى جانبه يوجد رئيس معروف في أوساط الثوار تحت اسم "النقيب الوهراني" والذي قدم مؤخرا من وهران عبر العاصمة الجزائر مع حوالي 10 من مقاتلي "الصدمة"[68]. وهذا ما يدل على أن الكتيبة أصبحت تستقطب مجاهدين جزائريين من جميع أنحاء الجزائر، وعلى طابعها الوطني. ولم يقتصر تركيب الكتيبة على الجزائريين فقط، بل تعداه إلى الجنود المغاربة الذين فروا من الثكنات التي كانوا ينشطون بها والمتواجدة في إقليم ناحية تبسة، استجابة لنداء الثورة والتحقوا بصفوف جيش التحرير الوطني، ومن بين هؤلاء نذكر: محمد بن التهامي وأحمد سحنون[69]. في حين أشار التقرير المرجعي رقم: 970 الصادر بتاريخ 12 جوان 1956م بأن كل من زروڤ الوردي، بن عرفة محمد وسهايلية محمد بن أحمد ينشطون تحت قيادة محمود الشريف[70].

3.3 تطور تنظيم كتيبة الكومندوس:

1.1.3 التنظيم والهيكلة:

تشير التقارير الصادرة عن مصالح المخابرات الفرنسية إلى أن تعداد كتيبة الكومندوس وصل إلى 200 مجاهد مسلحين على أعلى مستوى، وفقا لما جاء في التقرير المرجعي رقم: 1256 الصادر بتاريخ 17 جويلية 1956م عن مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة[71]. ولضمان تطوير النشاط الثوري للكتيبة والاستفادة من هذه القوة الحية بشكل جيد وتحقيق مردود إيجابي، باشر القائد محمود الشريف القيام بعملية تنظيم وهيكلة لأفراد الكتيبة، الذين تم تقسيمهم على ثلاثة فصائل مقاتلة، ثم أسند مهمة قيادتها وتأطيرها للضباط: محمد بن عرفة، عمري عمار، وزروڤ الوردي، وبذلك أصبحت الكتيبة مهيكلة كالآتي:

اسم القائد	الرتبة	المنصب القيادي	المهمة الموكلة
محمود الشريف	ملازم أول	قائد كتيبة الكومندوس	/

[68]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[69]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 186.

[70]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[71]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

محمد بن عرفة	مرشح	نائب قائد كتيبة الكومندوس	قائد الفصيلة الأولى
الوردي زروف	مرشح	مساعد قائد كتيبة الكومندوس	قائد الفصيلة الثانية
عمار عمري	مرشح	مساعد قائد كتيبة الكومندوس	قائد الفصيلة الثالثة
محمد الصالح الشريف	مرشح	مساعد قائد كتيبة الكومندوس	غير واضحة

جدول 02 يمثل: تنظيم كتيبة الكومندوس.

2.2.3 التسليح والزي العسكري:

فيما يتعلق بالتسليح فقد توفرت لدى جميع أفراد الكتيبة أسلحة حربية حديثة، نظرا لخطورة المهام التي كانوا ينفذوها، والتي تتطلب الاعتماد على الأسلحة الهجومية، حيث كانوا مسلحين بأسلحة متنوعة منها مدافع رشاشة من طراز 24/29، بنادق خماسي إنجليزية، عشاريات[72]. ورشاشات من نوع ماط 49 فرنسية الصنع، وبنادق من نوع خماسي ألمانية الصنع، وفيزي ثارة أمريكية الصنع، وهو السلاح الذي كان يحمله القائد محمود الشريف[73]. وبندقية رشاشة وعلى الأقل 06 بنادق (Lebel)، باستثناء كل من بلعيد صالح وحفة بن معوي المكلفان بالمؤونة[74]. من أجل تحديد الهوية والمظهر العام الخاص بأفراد الكتيبة، اعتمد القائد محمود الشريف على تجهيزهم عسكريا بزي قتالي موحد متجانس يتكون من سروال وقميص لون كاكي، يستخدم للتمويه النفعي، تماشيا مع الأهداف المراد تحقيقها في الميدان، إضافة إلى الزامهم بارتداء الخوذ العسكرية[75].

3.3.3 المهام القتالية المسندة:

بالنسبة للمهام القتالية المسندة لأفراد الكتيبة، ونظرا لخصوصية تكوينهم، فإنهم كانوا مطالبين بتنفيذ عمليات قتالية سريعة وخاطفة، مع نصب الكمائن للقوات الفرنسية، إضافة إلى استهداف وضرب المراكز والمواقع والمنشآت العسكرية الفرنسية المتواجدة في مختلف نواحي وجهات تبسة، حماية وتهريب الأعين والجواسيس من المدن والمعرضين للخطر بعد اكتشاف أنشطتهم السرية، والذين كانوا في السابق مكلفين من طرف قيادة الثورة بجمع المعلومات والقيام بعمليات ترصد لمختلف تحركات وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي، وإرغام المجندين الجزائريين في مختلف التشكيلات العسكرية التابعة للجيش الاستعماري الفرنسي على الفرار من وحداتهم والالتحاق بجيش التحرير الوطني، وكان يُعتمد في ذلك على

[72]- شهادة المجاهد الكامل قواسمية، مصدر سابق.

[73]- نوار جدواني، مرجع سابق، ص 11.

[74]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[75]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

أسلوب الترغيب والترهيب في الوقت نفسه[76]. في حين أشار تقرير مرجعي يحمل رقم: 801 صادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة بتاريخ 25 ماي 1956م إلى أن المجموعة التي يرأسها محمود الشريف، مكلفة ببعث العمل الثوري المدني والقيام بعمليات اختطاف[77].

4. دعائم العمل الثوري لكتيبة الكومندوس:

بالموازاة مع عملية تنظيم الكتيبة وضبط هيكلها العام، بدأ القائد محمود الشريف في البحث عن مصادر تمكنه من توفير الدعم اللازم الذي يسمح لأفراده بالعمل والنشاط في ظروف ملائمة وتتماشى مع طبيعة المهام المسندة لهم، ومن خلال تتبع المصادر التاريخية فإننا نجد أن الدعائم التي ركز عليها لتوفير الدعم تتشكل من:

1.4 توظيف عنصر الدعم والمساندة والاستفادة من خدمات المناضلين:

ربط القائد محمود الشريف علاقات وطيدة مع المدنيين القاطنين بناحية تبسة، حيث تشير المعلومات التي تم جمعها من طرف مصالح الاستعلامات حوله والتي تم تدوينها بتاريخ 07 جوان 1956م بناءً على ما جاء في محتوى التقرير المرجعي رقم: 918/س المحرر من طرف مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة إلى أن كل من ميزوني ميزوني، شريط التليلي، ملاح الطيب، عرباوي الطاهر، دقايشية الصادق، وبوغانم بوغانم يمكن أن يكونوا على علاقة بالشريف محمود ويعملون بمثابة شركائه النشطين[78]. وقد وظف القائد محمود الشريف العلاقة الوطيدة التي جمعته بالمناضلين المتواجدين في مختلف مشاتي منطقة تبسة في علاج المجاهدين الناشطين في صفوف كتيبة الكومندوس التي يقودها، مثلما تؤكد ذلك المعلومات المدونة يوم 08 جوان 1956م عن نشاطه، والتي وردت في التقرير المرجعي رقم: 935 والصادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة والذي يشير إلى أن أربعة مجاهدين ينتمون إلى المجموعة الثورية التي يقودها محمود الشريف، يتواجدون تحت العلاج لدى سكان مشتة النواصرية رقم 01، بعد إصابتهم بجراح خلال الاشتباك الأخير الذي وقع في جبل الزيتونة بمرسط[79].

ومما نلاحظه أن التقارير الأمنية الفرنسية أشارت إلى التنسيق بين أعضاء الكومندوس الذي يتولى قيادته محمود الشريف والمناضلين بمنطقة تبسة، فقد دونت مصالح الاستعلامات الاستعمارية الفرنسية هذه التفاصيل بتاريخ 12 جوان 1956م، بناءً على ما جاء في التقرير المرجعي رقم: 970 والصادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة، والذي يكشف أن التعاون الثنائي بين الطرفين قد وصل إلى

[76]- شهادة المجاهد عثمان بن نوار عكروت، مصدر سابق.

[77]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[78]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[79]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

درجات كبيرة، بحيث وجد أفراد الكومندوس الدعم اللازم من طرف عدد من المناضلين نذكر من بينهم: رامي الطيب بن الشريف من مشتة أولاد علية، تليلي حمزاوي وزيديري حمزاوي من مشتة أولاد حمزة، خمايسية أحمد بن عبيد وخمايسية الهادي بن المكي من مشتة الخمايسية، الذين فهموا دورهم بشكل جيد، وقاموا بتحويل بيوتهم إلى قواعد خلفية يستقبلون فيها أفراد هذا الكومندوس والذين كانوا يأكلون وينامون هناك في العادة. إضافة إلى المناضل المدني (مباركة بورڤعة) الذي ينحدر من مشتة الجداونية الواقعة بدوار تروبية، الذي كان يقوم برعاية قطيع من الأغنام سلمها له أفراد الكومندوس[80].

2.4 بث الدعاية الثورية في أوساط المدنيين:

أنشأت السلطات الاستعمارية الفرنسية في منطقة تبسة مع بداية شهر مارس 1955م، عددا من مراكز الفرق المتنقلة للشرطة الريفية (GMPR) بمنطقة تبسة[81]، من بينها المركز رقم 03 بمدينة تبسة، وقد كلف الأفراد العاملون بهذا المركز بالقيام بعمليات تمشيط للمناطق الريفية لجبل العنبة، المستيري، حلوفة، ڤوراية، بوخضرة، وفج التنوكلة[82]. ونجد أن القائد محمود الشريف وظف الدعاية الثورية في تكتيكه الحربي، وكان متابعا بدقة للأنشطة العسكرية التي كانت تقوم بها عناصر الفرق المتنقلة للشرطة الريفية، ومدركا لتأثيرها السلبي على نشاط المناضلين في محاولتها لوقف عمليات الدعم التي يتلقاها جيش التحرير الوطني بالناحية، ولهذا فقد باشر القيام بعمل مضاد لها، من خلال الاجتماع بالمناضلين القاطنين في مختلف مشاتي ناحية تبسة، وبث الدعاية الثورية في أوساطهم والتعهد أمامهم بالقضاء على قيادات هذه الفرق، مثلما تشير إلى ذلك وثيقة صادرة في 19 جوان 1956م، التي تم تحرير محتواها بناءً على ما ورد في التقرير المرجعي رقم: 1148 والصادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة، الذي يكشف بأن محمود الشريف أقسم منذ أيام أمام سكان مشتة "بوشيبة" ومشتة "الخمايسية" (بلدية

---

[80]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[81]- اتخذت الحكومة العامة في الجزائر قرار إنشاء الفرق المتحركة للشرطة الريفية (Groupe Mobile de police rurale)، في 24 جانفي 1955م، بعد تحصلها على موافقة فرانسوا ميتران وزير الداخلية الفرنسي الذي كان قد تلقى طلبا بهذا الخصوص مقدم من طرف جون فيجور مدير الأمن العام في الجزائر، وتم توزيع الفرق المستحدثة على المقاطعات الجزائرية الثلاثة، بهدف تغطية النقص في الأمن، للمزيد أنظر: ليلى تيته، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1954-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2013/2012م، ص 85.

[82]- فريد نصر الله، التطور السياسي والعسكري والتنظيمي للثورة التحريرية بمنطقة تبسة 1954-1958م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله 2016/2015م، ص 102.

مرسط المختلطة) بأنه سيأتيهم برأس النقيب (Pierre) قائد المجموعة المتنقلة للشرطة الريفية رقم 03 وبالتالي تحطيم الشهرة التي تتمتع بها هذه المجموعة[83].

3.4 التعاون والتنسيق مع القادة الثوريين بالمنطقة:

من خلال تتبعنا لتحركات القائد محمود الشريف وأفراد كتيبة الكومندوس، نلاحظ جليا أنه كان ينسق أعماله الثورية مع بقية قادة جيش التحرير الوطني الناشطين بمنطقة تبسة، ففي 17 جويلية 1956م انتقل محمود الشريف إلى أولاد سيدي عبيد، وتحديدا إلى جبل الشطابية الواقع إلى الشرق من بوشبكة، أين التقى مع القائدين فرحي بشير وسي صالح سماعلي، ثم اقترب رفقة أفراد مجموعته الذين وصل تعدادهم إلى 200 مجاهد من الحدود، وفقا لمحتوى التقرير المرجعي رقم: 1256 والصادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة. وفي 20 جويلية 1956م كان القائد محمود الشريف يتواجد بدوار تازبنت رفقة القائد عبّاد الزين، أين كان القائدان يقومان بتحضير أفراد مجموعاتهما الثورية من متطوعي الصدمة لمهاجمة تبسة ويوكوس في الفترة ما بين 21 و25 جويلية، مثلما يؤكد ذلك التقرير المرجعي رقم: 1279 والصادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة[84].

5. النشاط العسكري لكتيبة الكومندوس:

نوع القائد محمود الشريف من التكتيكات الحربية التي كان يتبعها لمواجهة وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي، لما لها من مزايا اتاحت له توظيف أفراد كتيبة الكومندوس والاستفادة منهم بأفضل طريقة ممكنة، خدمة للنشاط الثوري. وقد تميزت الكتيبة بنشاط مبني على عدم انتظار الهجومات التي كانت تشنها وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي ثم مواجهتها، بل بالتنقل إلى جميع مراكزها وشن هجومات خاطفة ضدها ومناوشتها أيضا، وهذا ما جعل الموقف العسكري للكتيبة صلبا وقويا. حيث ساهمت المقدرة والبراعة العسكرية التي أظهرها المجاهد القائد محمود الشريف في تحقيق الكتيبة لنتائج إيجابية[85]، ومن بين الأمثلة على العمليات التي نفذتها الكتيبة نذكر:

1.5 مهاجمة المركز العسكري بجبل الجرف:

في إطار تطوير الأنشطة التي كانت تقوم بها كتيبة الكومندوس، تقدم المجاهد محمد الربعي يونس بمقترح للقائد بشير ورتان المُكنى سيدي حني يقضي بتكليف القائد محمود الشريف بمهاجمة

[83]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[84]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[85]- محمود الشريف، شهادات العقيد محمود الشريف قائد ولاية أوراس النمامشة، جم: علي زغدود، متيجة للطباعة، براقي، الجزائر، 2010م، ص 07.

المركز العسكري الفرنسي المتواجد بجبل الجرف، وقد لاق هذا المقترح قبولا من طرف القائد بشير ورتان[86]، الذي قام بعقد اجتماع مع محمود الشريف في مقر الإدارة بجبل آرڤو، وأخبره بأنه مكلف مع أفراد كتيبة الكومندوس باستهداف المركز العسكري الذي شيدته قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي بجبل الجرف.

ولهذا السبب جهز محمود الشريف أفراد الكتيبة وغادروا جبل آرڤو واتجهوا إلى جبل الجرف، ولما وصلوا إلى الضواحي القريبة من المركز العسكري، أخذوا موقعهم بحذر شديد، في حين تمركز القائد محمود الشريف ومحمد بن عرفة ومجاهد ينحدر من عرش أولاد مسعود في مقدمة الموقع الذي تمركز به المجاهدون، حيث طلب القائد محمود الشريف من المجاهدين أن يلزموا مواقعهم ثم تقدم مع محمد بن عرفة زحفا، وقاما باستطلاع وترصد المحيط بشكل جيد، وهذا ما مكنهم من مشاهدة الطائرات وهي تقوم بعملية إنزال التموين جوا لفائدة الجنود الفرنسيين العاملين بالمركز الذي أقيم في أعلى الجبل، ثم تواصلت عملية الاستطلاع والترصد لمدة يومين كاملين، بحث خلالها القائد محمود الشريف عن كيفية مناسبة تساعد على تنفيذ الهجوم أو إيجاد ثغرة تسمح للمجاهدين بتنفيذ المهمة التي كلفوا بها، ولما أدرك استحالة تنفيذ الهجوم بسبب تواجد الثكنة في قمة الجبل وعدم وجود تسليح مناسب لمثل هذه الهجومات، أصدر أمرا للمجاهدين بالتراجع والعودة إلى جبل آرڤو، وهناك التقى بالقائد ورتان بشير، الذي سأله عن أسباب عدم استهداف المركز، قائلا: "لماذا لم تنفذ الهجوم؟". فأجابه القائد محمود الشريف: "إن المركز العسكري الفرنسي محصن بشكل جيد، كان بإمكاني تنفيذ الهجوم لكن بعد الاستطلاع والتفكير، والتقدير الجيد للموقف استنتجت أن الهجوم لن يأتي بنتائج كبيرة، ولهذا قررت التراجع حتى لا أمنح أرواح أبناء الجزائر الذين تحملت عليهم هذه المسؤولية كهدية للاستعمار الفرنسي دون مقابل"[87].

2.5 الهجوم على المركز العسكري بقرية بئر العاتر:

وفقا لمحتوى التقرير المرجعي رقم: 1170/س والصادر عن مركز الاتصال والاستغلال بدائرة تبسة والذي تضمن بعض ما جاء في تصريحات المجاهد الطيب بن سلطان علوان الذي أشار فيها إلى أن القائد محمود الشريف كان يتواجد في جبل آرڤو خلال يوم 14 جوان 1956م، ثم توجه يوم 15 جوان 1956م نحو بئر العاتر[88]. حيث اتجهت أنظار القائد محمود الشريف خلال ذلك اليوم لمهاجمة المركز العسكري الفرنسي المتواجد بقرية بئر العاتر، وقد تزامن الوقت الذي تحرك فيه أفراد الكتيبة من مقر

[86]- محمد زروال، دور المنطقة السادسة في الثورة التحريرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 71.

[87]- شهادة المجاهد الكامل قواسمية، مصدر سابق.

[88]- Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

الإدارة بجبل آرقو مع وصول القادة: الوردي قتّال، الزين عبّاد، عمر البوقصي، لزهاري دريد وأفواج المجاهدين العائدين من منطقة سوق أهراس إلى منطقة تبسة[89]، وبعد فترة من المشي وصل أفراد كتيبة الكومندوس إلى العقلة المالحة، وهناك وصلت إلى مسامعهم أصوات أزيز عدد من الشاحنات العسكرية الفرنسية كانت متوقفة في الطريق تنتظر وصول قوات أخرى تابعة لمراكز بئر العاتر، الماء الأبيض وتبسة تم اقحامها في عملية تطويق وتمشيط لجبل آرقو وضواحيه من أجل متابعة أفواج جيش التحرير الوطني، وقد جندت لها قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي جميع وحداتها المنتشرة في منطقة تبسة، وأسندت قيادتها ميدانيا للعقيد مارسيل بيجار[90].

وبشكل سريع أمر القائد محمود الشريف المجاهدين بالتوقف بسرعة والالتزام بمواقعهم، ثم تقدم إلى أقرب نقطة من مكان تجمع الشاحنات العسكرية، واستطاع التقاط بعض الأحاديث الجارية بين الجنود الفرنسيين، وعلم أنهم سيغادرون المكان باتجاه جبل آرقو، وبعد ذلك غادر المجاهدون باتجاه جبل فوّة، حيث أجرى القائد محمود الشريف اتصالا مع قائد ينحدر من قبيلة أولاد سيدي عبيد كان يتولى قيادة ثلاثة أفواج ليشارك في الهجوم، ثم أجرى اتصالا آخر بالقائد مقداد جدي الذي أخبره بأنه سيقوم بشن هجومات تستهدف المراكز العسكرية الفرنسية بواحتي فركان ونقرين، واستكمالا للمخطط المرسوم غادر أفراد الكتيبة باتجاه قرية بئر العاتر التي وصلوها ليلا، حيث دخلوها من الجهة الغربية واتخذوا من إحدى الأودية العميقة مسلكًا ساروا فيه، فيما تقدم أفراد الأفواج الثلاثة التي كان يقودها المجاهد العبيدي ودخلوا من الجهة الشرقية للقرية. كان أفراد الكتيبة يتحركون وفقا لمعلومات تحصل عليها القائد محمود الشريف من عند أحد المناضلين، الذي أخبره بأن القرية شبه خالية من القوات الفرنسية بسبب اقحامها في العملية العسكرية بجبل أرقو، ولهذا فقد كان المجاهدون يسارعون الخطى من أجل الوصول إلى موقع المركز، لكنهم اصطدموا بمدرعات فرنسية متوقفة في أعلى الوادي وتم تمويهها بداخل خنادق أو حفر أرضية من أجل حماية المركز المذكور من هجومات المجاهدين، ودون سابق تنبيه انزلقت قدم أحد المجاهدين وكان يضع يده على زناد البندقية فانطلقت منها طلقة عشوائية، وبمجرد سماع صوتها أصدر القائد محمود الشريف أمر إطلاق النار لأفراد الكتيبة قائلا: "الله أكبر". فبدأ

[89]- محمد عباس، فرسان الحرية (شهادات تاريخية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، أولاد فايت، الجزائر، 2003م، ص 196.

[90]- عرج الجنرال الفرنسي مارسيل بيجار في مذكراته: من أجل قطعة مجد، عن الظروف التي انتقل فيها إلى منطقة تبسة، وعن الإصابة الخطيرة التي لحقت به خلال معركة جبل أرقو الكبرى يوم 17 جوان 1956م، والتي كاد أن يسف فيها تراب جبال النمامشة على حد تعبيره، للمزيد انظر:

- Marcel Bigeard, pour une parcelle de gloire, plon, Paris, 1977.

الاشتباك بينهم وبين الجنود الفرنسيين المتمركزين في المدرعات، الذين استخدموا الرشاشات المنصوبة فوق المدرعات لصد الهجوم، لكن استخدامها لم يجدِ نفعا، بسبب تموقع المجاهدين في أسفل الوادي العميق، وحال ذلك دون اصابتهم، وبعد مدة من تبادل إطلاق النار انسحب المجاهدون من القرية، وقد أسفر هذا الهجوم عن استشهاد مجاهدين وإصابة المجاهد قواسمية الكامل بجراح خطيرة أين حمله المجاهدون إلى خارج قرية بئر العاتر لإسعافه هناك، فيما لم تعرف الخسائر التي لحقت في صفوف الجنود الفرنسيين، أما القائد محمود الشريف فقد عاد رفقة أفراد الكتيبة إلى جبل أرقو[91].

3.5 مناوشة المراكز العسكرية الفرنسية:

تعد عمليات مناوشة المراكز العسكرية الفرنسية إحدى الأساليب القتالية التي اتبعها القائد محمود الشريف وأفراد كتيبة الكومندوس، وعنها يتحدث المجاهد عمار عمري قائلا: "تحت أوامر محمود الشريف غادرنا آرقو، سرنا لمدّة أيام وقمنا بمناوشة بئر العاتر، ثم توجهنا إلى جبل فوة ثم الدكان ثم أنوال، ومن هناك قمنا بمناوشة تبسة. هذه المناوشات جرت تقريبا قبل شهر من العيد الكبير لعام 1956م"[92].

4.5 كمين ومعركة جبل الزبيسة بقرب الكويف 19 جويلية 1956م:

واصل المجاهد القائد محمود الشريف نشاطه الثوري الدؤوب بتفاني كبير بناحية تبسة، والذي تميز بشن الهجومات وقيادة المعارك وتصب الكمائن لوحدات الجيش الاستعماري الفرنسي، وهذا ما أكسبه اعجاب وتقدير القيادة، خاصة وأن جميع العمليات العسكرية التي خطط لها وأشرف على تنفيذها كانت ناجحة، مما جعل القيادة تستدعيه عدة مرات لاستشارته في مختلف الشؤون العسكرية، ومن جهة أخرى ذاع صيت محمود الشريف عند قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي، التي كانت تحصي خسائرها وتبحث عن الأسباب التي أدت للهزائم المتتالية التي لحقت بوحداتها، حيث أدركت في نهاية المطاف أن محمود الشريف هو الذي يقف خلف تدبيرها وتخطيطها، وحتى تنتقم منه قامت بتهديم سكنه العائلي بالشريعة[93]، وبدأت في ترصد ومتابعة تحركات أفراد كتيبة الكومندوس، من أجل القضاء على

---

[91]- شهادة المجاهد قواسمية الكامل، مصدر سابق.

[92]- Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, ibid.

[93]- نظرا للخطورة الكبيرة التي كان يشكلها القائد محمود الشريف أصدر الحاكم الفرنسي بعنابة موافقته يوم 15 مارس 1957م للإدارة الفرنسية بتبسة لمنح مكافأة لكل من يلقي القبض على قائد من جيش التحرير أو يساهم في استسلامه وخاصة محمود الشريف، وقدرت المكافأة بخمسة مليون فرنك حسب التقرير رقم 410 الصادر عن استعلامات تبسة. للمزيد انظر بوبكر حفظ الله، التطورات العسكرية بمنطقة تبسة، سوهام للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2017م، ص 26.

القائد محمود الشريف، فقامت لهذا الغرض بتسريب عنصرين من فرقة القومية تظاهرا بالفرار من وحدتهما إلى صفوف جيش التحرير الوطني، والتحاقا بصفوف كتيبة الكومندوس للنشاط فيها، وبدأ في العمل من أجل تنفيذ مخطط اغتيال القائد محمود الشريف[94]. وهذا ما عبرت عنه جريدة المجاهد: "أظهر محمود الشريف مقدرة على قيادة الفدائيين والكومندوس، وبسبب ذلك وجهت القيادة الفرنسية أعوانها خصيصا لقلته"[95].

وفي ظل هذه الظروف نفذ أفراد كتيبة الكومندوس عددا من المناوشات، وبعدها قام كل من الضابطين محمد بن عرفة والوردي زروف بالالتحاق بجبل انوال مع رجالهم. من هناك توجه جميع أفراد كتيبة الكومندوس إلى جبل سرداس، ثم عرجوا على جبل بلكفيف والتحقوا بعدها بجبل الحوض الصغير أين استراحوا لعدّة أيام. ثم توجهوا بعدها إلى جبل بورمان، وبعد عدّة أيام قاموا بنصب كمين بالقرب من الكويف[96]. وحسب شهادة المجاهد يوسف جدواني الذي شارك في هذا الكمين، فقد رُصدت عدة أهداف من وراء نصب هذا الكمين، يمكن تلخصيها في الآتي:

- استهداف قافلة عسكرية فرنسية كانت وتقوم بتبديل الجنود في بعض الأحيان وتنقل الذخيرة والتموين يوميا من مدينة الكويف لفائدة الجنود العاملين في المركز العسكري الذي أقامته قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي بجبل الموحد.
- قطع الذخيرة والتموين عن أفراد المركز العسكري الفرنسي الواقع بجبل الموحد، والذين كانوا مكلفين بعمليات اعتراض قوافل التسليح القادمة من الأراضي التونسية[97].

بعد إتمام كل التحضيرات تنقل أفراد كتيبة الكومندوس ليلا إلى المكان المسمى الزبيسة الذي تم اختياره كمكان لنصب الكمين، وهناك أمرهم القائد محمود الشريف بالانتشار في الموقع المحدد، وبدء عملية ترصد تحركات القافلة التي سيتم استهدافها، وكان تخطيط القائد محمود الشريف يقضي بترك الشاحنات التي تتكون منها القافلة تقترب من الموقع الذي يتمركز فيه المجاهدون، ثم السماح لها بالتوغل في عمق الكمين وبعد ذلك البدء في احكام الحصار عليها وتطويقها من جميع الجهات[98].

---

[94]- علي العياشي، مرجع سابق، ص 73.

[95]- هؤلاء هم قادة الجزائر الثائرة وأعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، ط خ، 19 سبتمبر 1958م، ص 02.

[96] -Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, ibid.

[97]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 193.

[98]- علي العياشي، مرجع سابق، ص 73.

ثم قطع المجاهدون الطريق باستخدام الحجارة بهدف إجبار سواق الشاحنات العسكرية الفرنسية على تخفيف السرعة، وبقوا متمركزين إلى غاية دخول الشاحنات العسكرية الفرنسية في مرمى نيرانهم، وعندما حانت اللحظة المناسبة وفقا للتعليمات التي أصدرها القائد محمود الشريف الذي أمر المجاهد جدواني يوسف الرامي برشاش 24-29 بأن يكون أول مجاهد يطلق النيران باتجاه سائق الشاحنة التي تتقدم القافلة ومساعده، وكانت هذه هي الإشارة التي سيبدأ بعدها بقية المجاهدون فور سمعاها في إطلاق النار، ثم فتحوا نيران بنادقهم، بعدما قتل السائق الأول ومساعده على إثر تلقيهما أولى الرصاصات التي أطلقها المجاهد يوسف جدواني صوبهم، عملا بالخطة التي رسمها القائد محمود الشريف. وقد أسفرت عملية إطلاق النار عن مقتل 23 جنديا فرنسيا وإحراق جميع الشاحنات العسكرية التي كانت تتكون منها القافلة بما كانت تحمله من مؤن وعتاد حربي عن أخره، كرد فعل منها قامت قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي بإصدار إذن لبطاريات المدفعية المتمركزة في الكويف وجبل الموحد ببدء عملية قصف قوي وتوجيه مدرعاتها إلى موقع الكمين وقد وصلته بسرعة فائقة، مما أدى إلى تحول الكمين إلى معركة ضارية[99]، وهذا ما أدى إلى استشهاد مجاهدين من أفراد كتيبة الكومندوس[100].

5.5 إصابة المجاهد القائد محمود الشريف والضابط عماري عمري:

في خضم القصف المتواصل استغل العميلان المندسان الفرصة لتنفيذ مخطط الغدر والخيانة، ووجها نيران بنادقهما باتجاه القائد محمود الشريف فأصابه أحدهما في صدره، وقبل أن يتمكنا من الاجهاز عليه ألقى القبض عليهما وتم إجراء تحقيق سريع معهما، كشفا فيه بأنهما مبعوثان من طرف قيادة الجيش الاستعماري الفرنسي لقتل قائد كتيبة الكومندوس، ليتم القضاء عليهما بعد ذلك[101]. ولم يكن القائد محمود الشريف هو الجريح الوحيد في هذه المعركة، بل إن الإصابة لحقت أيضا بالقائد عمار عمري، وعن ظروف إصابتهما يتحدث المجاهد يوسف جدواني قائلا: "لقد أصيب القائد محمود الشريف، بجروح قاتلة، وسقط إلى جانبي، كانت جروحه تنزف بغزارة، حيث اخترق الرصاص صدره ليخرج من أسفل كتفه، فحمله المجاهدون وأبعدوه عن المكان الذي أصيب فيه، كما جرح أيضا عمار عمري في هذا الكمين"[102]. بينما يتحدث الضابط عمري عمار بن يوسف عن هذه الإصابة قائلا: "جُرحتُ أنا والشريف محمود جراحا خطيرة، جرى ذلك خلال يوم العيد الكبير من عام 1956م حوالي الساعة السابعة مساء"[103].

---

[99]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 193.

[100]- علي العياشي، مرجع سابق، ص 73.

[101]- علي العياشي، مرجع سابق، ص 73.

[102]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 193.

[103]- حسب تصريح الضابط عمار بن يوسف عمري فإن الكمين وقع يوم 19 جويلية 1956م.

ثم شرع المجاهدون بعد ذلك في عملية الخروج من موقع المعركة، حاملين معهم القائدين الجريحين محمود الشريف وعمار عمري، أين اتجهوا إلى خنقة بكارية الواقعة شرق مدينة تبسة، أين تركوا القائد الجريح في بيت المسؤول المدني لخضر شرفي الواقع على حافة طريق السيارات، أما المجاهد عمري عمار فقد حملوه إلى الجبل حيث أخفوه وسط كومة من الحجارة، وأخذوا أماكنهم استعدادا لخوض المعركة في حال اكتشافهم من طرف وحدات الجيش الاستعماري الفرنسي، لتتكفل دورية من المجاهدين بنقلهما إلى التراب التونسي للعلاج[104].

فيما يضيف القائد عمار عمري ما يلي: "نُقلتُ أنا والشريف محمود فوق حمالات إلى غاية جبل ارقو، أين عولجنا من طرف طبيب فرنسي وطبيب مسلم. الطبيب المسلم أصيل مدينة وهران واسمه بن عصمان، أما الطبيب الفرنسي فلا أعرف اسمه، لكنني التقيته بعد ذلك في تونس العاصمة. كنا أنا والشريف محمود نقوم بتغيير أماكننا في كثير من الأحيان، كانوا يحملوننا من جبل إلى جبل وحيث كنا نجد الأطباء الذين يأتون كل صباح لتغيير ضماداتنا. هؤلاء الأطباء كانوا يرتدون الزي العسكري ويحملون مدافع رشاشة يسافرون كثيرا ويتوجهون إلى ليبيا وايطاليا واسبانيا لغرض شراء الأدوية بالجملة. بعد مدّة 15 يوما تنقلت أنا والشريف محمود فوق الحمالات إلى الحدود وفي تونس نُقلنا في سيارة الى العاصمة تونس أين دخلنا المستشفى الإيطالي، هناك أجرى لي الدكتور هدّام التيجاني عملية جراحية، مكثت خمسة أشهر بهذا المستشفى[105]، بينما مكث الشريف محمود ثلاثة أشهر فقط، كنا وحدنا في غرفة واحدة"[106].

---

[104]- نوار جدواني، مصدر سابق، ص 194.

[105]- بعد تماثله للشفاء غادر المجاهد عمار بن يوسف عمري المستشفى التونسي، وعاد إلى صفوف وحدات جيش التحرير الوطني، أين قامت قيادة المنطقة السادسة تبسة، بترقيته إلى رتبة ملازم أول وكلف بقيادة فيلق استحدثته قيادة المنطقة السادسة تبسة خلال صيف 1957م بالأراضي التونسية، وكلف بالدخول إلى المنطقة، حيث أشرف على قيادة معركة قارة أم الدلال بجبل الدكان في 13 أوت 1957م، ثم معركة فايجة البل بدوار الدرمون في 07 سبتمبر 1957م والتي أسر خلالها رفقة مجموعة من المجاهدين، حيث تمت محاكمته من طرف السلطات الاستعماري الفرنسية التي حكمت عليه بالإعدام ونقلته إلى سجن القصبة بقسنطينة، ثم معتقل قصر الطير، وبقي في السجون الاستعمارية الفرنسية إلى غاية استقلال الجزائر، للمزيد انظر: بحري الحاسن، مذكرات المجاهد بحري الحاسن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2019م، ص 155.

[106] -Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, ibid.

وبخصوص الإصابة التي تعرض لها القائد محمود الشريف في كمين الزبيسة، نجد أن التقارير الأمينة الفرنسية لم تهملها، فقد تطرقت لها مصالح شرطة المخابرات العامة تبسة بتاريخ 25 جويلية 1956م في تقريرها المرجعي رقم: 1951، وذكرت بأنه كان متواجدا بجبل الزبيسة إلى الشرق من تبسة بالقرب من الحدود التونسية. أين تعرض لجراح خطيرة في جنبه الأيمن وذراعه الأيمن وردفيه، مرجحة أن يتم نقله إلى نواحي قفصة ومن هناك إلى تونس أين يتواجد من أجل العلاج، ويشير التقرير المرجعي رقم: 465/ش المؤرخ في 08 أوت 1956م بأن محمود الشريف دخل إلى مستشفى الكاف تحت هوية تونسية مزيفة، لكن هذه المعلومة تم دحضها في التقرير المرجعي رقم: 1478 والصادر عن مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة بتاريخ 31 أوت 1956م، والذي ذكر بأنه عولج في الكاف بل عالج في مستشفى منوبة بتونس العاصمة، وحول مغادرته للمستشفى وعودته إلى منطقة تبسة نجد أن مركز الاتصال والعمليات في منطقة تبسة أشار إلى ذلك في تقريره المرجعي رقم: 1502 المؤرخ يوم 29 أوت 1956م، حيث ذكر بأن محمود الشريف سيعود من تونس العاصمة يوم 28 أو 29 أوت 1956م، مع مجموعة من الثوار تكون قد ذهبت للقائه ورافقته إلى منطقة النمامشة[107].

6.5 نشاط كتيبة الكومندوس بعد إصابة المجاهد القائد محمود الشريف:

على إثر الإصابات الخطيرة التي لحقت بالمجاهد القائد محمود الشريف والمرشح عمار عمري تكفل المرشح زروف الوردي بقيادة أفراد كتيبة الكومندوس[108]، حيث قام رفقة مساعده المجاهد رابح عبد السلام المُكنى الطيب بن الشيخ وفصيلة مكونة من 25 مجاهدا بنصب كمين في المكان المسمى عين شبرو الواقع على الطريق الرابط بين قرية أكس ليبان ومدينة تبسة[109]، استهدف سيارتين عسكريتين الأولى تابعة للديوانة الاستعمارية الفرنسية والثانية تابعة لفرقة القومية. وعلى الساعة الواحدة والنصف زوالا فتح المجاهدون نيران اسلحتهم على السيارتين، وبدؤوا في خوض اشتباك جد عنيف أدى إلى تحول الكمين إلى معركة شرسة تواصلت لساعات متأخرة من الليل بعد وصول تعزيزات عسكرية فرنسية مشكلة من الدبابات والطائرات المقاتلة إلى ميدان المواجهة، أسفرت عن استشهاد المرشح زروف الوردي وإصابة المجاهد سراج، ومقتل عدد من الجنود الفرنسيين وإصابة عدد آخر بجراح خطيرة، وإحراق شاحنتين

[107] - Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01, ibid.

[108] -Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, ibid.

[109]- تدرج المجاهد الطيب بن الشيخ في سلم المسؤوليات حتى أسندت له مهمة قيادة كتيبة في الفيلق الذي كان يقوده الملازم الأول شابو عبد القادر والذي كانت أغلبية أفراده قادمة من المنطقة السادسة تبسة من الولاية الأولى أوراس النمامشة، أين شارك في الهجوم على المركز العسكري الفرنسي بعين الزانة خلال شهر جويلية 1959م. للمزيد انظر: حسين بن معلم، مذكرات اللواء حسين بن معلم، ج 01، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2014م، ص ص 179، 180.

عسكريتين[110]. وبعد نهاية الكمين انسحب أفراد الفصيلة وعادوا إلى معاقل جيش التحرير الوطني بجبال تبسة، حيث تم تكليف المرشح محمد الصالح الشريف بقيادة كتيبة الكومندوس خلفا للشهيد زروف الوردي[111].

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية، يمكننا القول أن القائد محمود الشريف قد نجح في تأسيس وتنظيم كتيبة كوماندوس في ظرف زمني قصير مشكلة من عناصر ثورية يعتبرون من نخبة المجاهدين الذين التحقوا بصفوف هذه الكتيبة من مختلف أنحاء التراب الوطني، وقد أكدت الشهادات التاريخية الحية، والمعلومات الواردة في وثائق الأرشيف الفرنسي أن هذه الكتيبة ساهمت مساهمة كبيرة في تفعيل النشاطات العسكرية، والقتالية في ناحية تبسة، وتجاوزت ذلك باستهدافها للمنشآت الاقتصادية والعمرانية الاستعمارية، بالإضافة إلى قيام قائدها بحملات الدعاية والتعبئة، وكان لنشاطات الكتيبة اثارها الإيجابية في مسيرة وتطور الثورة في الناحية، كما ساهمت في تشتيت جهود العدو الفرنسي، والتخفيف من حدة عمليات الجيش الفرنسي على وحدات وأفواج المجاهدين الأخرى في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، ط خ، 19 سبتمبر 1958م.
- محمود الشريف، شهادات العقيد محمود الشريف قائد ولاية أوراس النمامشة، جم: علي زغدود، متيجة للطباعة، براقي، الجزائر، 2010م.
- بطاقة استعلامات خاصة بالشهيد بن عرفة محمد. إعداد المنظمة الولائية للمجاهدين لولاية تبسة.
- بطاقة استعلامات خاصة بالشهيد زروق الوردي، إعداد المنظمة الولائية للمجاهدين لولاية تبسة.
- تقرير الولاية الأولى المقدم للملتقى الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د ت.
- شهادة المجاهد بناني صالح، مقابلة شخصية يوم 11 فيفري 2023 بمنزله العائلي بمدينة تبسة.
- شهادة المجاهد عكروت عثمان، مقابلة شخصية يوم 19 أفريل 2023م بمنزله العائلي بمدينة بوفاريك ولاية البليدة.

[110]- تقرير الولاية الأولى المقدم للملتقى الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د ت، ص 186.

[111] -Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, ibid.

- شهادة المجاهد قواسمية الكامل، مقابلة شخصية يوم 03 أوت 2022م، بمنزله العائلي بمدينة الشريعة ولاية تبسة.
- شهادة المجاهد نصر الله الكامل، شهادة مسجلة بتاريخ 24 ماي 2006م بالمتحف الولائي للمجاهد تبسة.
- بن معلم حسين، مذكرات اللواء حسين بن معلم، ج 01، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2014م.
- بحري الحاسن، مذكرات المجاهد بحري الحاسن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2019م.
- جدواني نوار، سوانح في الفكر والحياة، منشورات دار الخلدونية، القبة القديمة، الجزائر، 2020م.
- جرمان عمار، الحقيقة مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الاستقلال، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007م.
- حسن محمد، سيرة وشهادات المجاهد محمد حسن عن الثورة التحريرية بأوراس النمامشة، تحر: طارق عزيز فرحاني، دار المثقف للنشر التوزيع، باتنة، الجزائر، 2020م.
- زبيري الطاهر، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962م، منشورات آنيب، الجزائر، 2008م.
- سعدي عثمان، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2000م.
- شارلزفير فريزر طونزند، مذكرات الفريق طونزند، تق: حامد أحمد الورد، الدار العربية للموسوعات، ط 02، لبنان، 1986م.
- هنين محمد، مذكرات من نار ونور، الوطنية للإشهار المتقدم والطباعة الشاملة، ميلة، الجزائر، د ت.
- هيبي بشير، مذكرات الضابط بشير هيبي، دار سيفار للنشر والطباعة والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2023م.
- كشيدة عيسى، مهندسو الثورة، تر: موسى أشرشور، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر، 2003م.
- بوحارة عبد الرزاق، منابع التحرير أجيال في مواجهة القدر، تر: صالح عبد النوري، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، 2005م.
- تقية محمد، الثورة الجزائرية المصدر، الرمز والمآل، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2010م.
- جاك دوشمان، تاريخ جبهة التحرير الوطني، منشورات ميموني، تر: موجد شراز، برج البحري، الجزائر، 2013م.
- جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تعر: أكرم ديرى، هيثم الأيوبي، ط 02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1986م.

- عمار جرمان، من حقائق جهادنا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009م.
- جوان غيليسبي، الجزائر الثائرة، تعر: خيري حمّاد، منشورات دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1961م.
- حفظ الله بوبكر، التطورات العسكرية بمنطقة تبسة، سوهام للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2017م.
- دومنيك فارال، معركة جبال النمامشة 1954-1962م، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2008م.
- زروال محمد، اللمامشة في الثورة دراسة، ج 02، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م.
- زروال محمد، دور المنطقة السادسة في الثورة التحريرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- عباس محمد، فرسان الحرية (شهادات تاريخية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، أولاد فايت، الجزائر، 2003م.
- عفيف الطاهر، من رموز الثورة في ولاية تبسة الشهيد علي عفيف، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2009م.
- فرحاني طارق عزيز، المجاهد القائد ساعي فرحي (1910-1964م)، ج 02، دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2023م.
- مقلاتي عبد الله، محمود الشريف، قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013م.
- مونتغمري، السبيل إلى القيادة، تر: حسن مصطفى، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1966م.
- نزار خالد، يوميات الحرب (الجزائر 1954-1962م)، تر: سعيد اللحام، منشورات آنيب، الجزائر، 2004م.
- هارتموت إلزنهانس، فشل الاستعمار الفرنسي في الجزائر، دار القصبة للنشر، تر: أحمد بن محمد بكلّي، 2015م، حيدرة، الجزائر.
- العياشي علي، بعد حياة عامرة بالجهاد العقيد محمود الشريف يلتحق بالرفيق الأعلى، مجلة أول نوفمبر، ع 87، الجزائر، نوفمبر 1987م.
- هنين حمة، لمحة مختصرة عن دور الفدائيين بولاية تبسة، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الأول حول دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، إنتاج جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة ولاية تبسة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ت.

- تيته ليلى، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1954-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2013/2012م.
- نصر الله فريد، التطور السياسي والعسكري والتنظيمي للثورة التحريرية بمنطقة تبسة 1954-1958م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله 2016/2015م.

باللغة الأجنبية:

- 1H 2583, D1, Activités Politique et militaire des Rebelles 1955-1960.
- FR, A.N.O.M, C.9336/63 Dossier Chérif Mahmoud, colonel de la wilaya 01.
- FR, A.N.O.M, C.9336/76 Fiche Belaid Salah ben Mohamed, Tebessa 07 Juillet 1956.
- FR, A.N.O.M, C.9336/76 fiche Redjeb haj Belgacem, Tebessa 03 janvier 1957.
- FR, A.N.O.M, C.9336/76 Fiche Redjeb Lazhari ben Med Kourari, Tebessa 03 septembre 1958.
- FR, A.N.O.M, C.9336/97 Interrogatoire de Amri Amar Ben Youcef, 24 ans, Lieutenant Commandant un groupe rebelle. 28 septembre 1957.
- Bernard Top, La Compagne De 6e régiment de Cuirassiers en Algérie 1955-1963, éd Tbélés, Paris.
- Jean Balazuc, Le 2e Régiment étranger de parachutistes pendant la guerre d'Algérie, Editions L'Harmattan, paris, 2020.
- Jean Callet, Hiver a Tebessa, édition Berger-Levrault, Paris.
- Marcel Bigeard, pour une parcelle de gloire, plon, Paris, 1977.
- Raoul Salan, MÉMOIRES, FIN D'UN EMPIRE, Presse de la cite, Paris, 1972.
- Ted Morgan, Ma bataille d'Alger, Témoignage, Confessions d'un Américain au cœur d'un drame français, éditions Taillandier, 2016.